IRCICA

مجلة علمية محكمة تعنى بالتاريخ والحضارة الإسلامية

المجلد III ◉ العدد 5 ◉ ربيع 2015

مجلة إرسيكا

المجلد III، العدد 5
ربيع 2015
ISSN 2148-2772

منظمة التعاون الإسلامي
مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية

إرسيكا

رئيس التحرير

د. خالد أرن
المدير العام لإرسيكا

تحرير

أ. د. صادق أوناي، إرسيكا
أ. د. فاضل بيات، إرسيكا

هيئة التحرير

الرئيس: د. خالد أرن، المدير العام لإرسيكا

أ. د. آلب أرسلان آجيق كنج، جامعة يلديز التقنية
أ. د. أيمن فؤاد سيد، جامعة الأزهر
أ. د. آلب أرسلان آجيق كنج، جامعة يلديز التقنية
أ. د. عامر باسيج، إرسيكا
أ. د. عزمي أوزجان رئيس، جامعة بيليجك
فيصل بن عيسى، إرسيكا
أ. د. فاضل بيات، إرسيكا
أ. د. خرّم قادر، المدير السابق لـNIHCR باكستان
أ. د. محمد عاكف آيدين، جامعة مدبيول
أ. د. محمد إبشيرلي، جامعة الفاتح
أ. د. مرتضى بدر، جامعة استانبول
د. نزيه معروف، إرسيكا
أ. د. نجاة صائم خليل، إرسيكا
أ. د. رمضان ششن، إرسيكا
أ. د. صادق أوناي، إرسيكا
أ. د. صبحي ساعتجي، جامعة معمار سنان
زينب دروقا، إرسيكا

هيئة المستشارين الدولية

أ. د. عبد الرحيم أبو حسين، الجامعة الأمريكية في بيروت
أ. د. عبد الرحيم بنحاده، جامعة محمد الخامس بالرباط
أ. د. عبد الرحمن المودن، جامعة محمد الخامس بالرباط
أ. د. بهيجة زلاطار، معهد الاستشراق في سراييفو
أ. د. جنكيز طومار، جامعة مرمرة
أ. د. فيصل الكندري، جامعة الكويت
أ. د. فريدون أمه جن، جامعة استانبول 29 مايس
أ. د. حمد بن محمد الضوياني، رئيس هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية بسلطنة عمان
أ. د. هيث وارد لوري، جامعة برينيستون
أ. د. كلاوس كريسر، جامعة مونيخ
أ. د. ماجدة مخلوف، جامعة عين شمس
أ. د. ميهاي ماكسيم، جامعة بوخارست
أ. د. محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية
أ. د. محمد باغريه، جامعة طهران
محمد المرّ، هيئة دبي للثقافة والفنون
أ. د. مروريد أبو سعيد توفا، أكاديمية العلوم في قزخستان
أ. د. مصطفى فايدا، جامعة مرمرة
أ. د. رفائيل خكيموف، أكاديمية العلوم في تتارستان
أ. د. ريتشارد بوليت، جامعة كولومبيا
د. سعد بن عبد العزيز الراشد، عضو في مجلس إدارة إرسيكا
أ. د. سلجوق ملايم، جامعة مرمرة
أ. د. طوفان بوزبينار، جامعة استانبول شهير
د. وجيه كوثراني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت
أ. د. ويليام شيا، جامعة بادوا

معلومات عامة

مجلة إرسيكا مجلة علمية محكّمة متعددة التخصصات يُصْدِرُها مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، الجهاز الثقافي المتفرع عن منظمة التعاون الإسلامي، مرتين في السنة (في الخريف والربيع). وتنشر المجلة مقالاتٍ علمية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، وهي اللغات الرسمية للمركز.

يوجد مكتب تحرير مجلة إرسيكا في مقرّ إرسيكا باستانبول.

وتُعنى مجلة إرسيكا بجميع جوانب الحضارة الإسلامية من تاريخ الثقافات، والفنون، والعلوم، والفلسفة، والأدب، والحرف التقليدية، وعلم الآثار وهلم جرا. وتهدف إلى المحافظة على تراث الحضارة الإسلامية المادي وغير المادي (التراث المكتوب والمعماري والثقافي والفني).

وترحّب مجلة إرسيكا بالبحوث والمقالات الأصيلة التي لم تُنشر في وقتٍ سابقٍ والتي تتناول جوانب الحضارة الإسلامية في مختلف مناطق العالم الإسلامي وخارجه، من البلقان والقوقاز وآسيا الوسطى والشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأفريقيا السوداء وآسيا الجنوبية وجنوب شرق آسيا. ومن المؤمّل أن تلبي المقالات العلمية احتياجات الباحثين المختصين في مجالات التاريخ والدراسات الثقافية وعلم الاجتماع والعمارة والعلاقات الدولية والأنثروبولوجيا. وتنظر مجلة إرسيكا في جميع البحوث ولكن بشرط أنها لم تُقدَّم إلا لمجلة إرسيكا، وأنها لم تُنشر من قبل، ولا هي قيد النظر للنشر أو الطبع في مكان آخر.

Copyright@2015 by IRCICA

التصميم
محمد نور آنبارلي

التجليد والطباعة
Karist Baskı Çözümleri

شروط النشر

ينبغي أن تكون البحوث المقدّمة إلى مجلة إرسيكا أصيلة وأن لا تكون قيد النظر للنشر في مجلة أخرى وقت تقديمها. وتخضع البحوث المقدّمة إلى مجلة إرسيكا للنشر لمراجعة الزملاء.

وتُرسَل البحوث إلى عنوان إرسيكا الإلكتروني (ircica@ircica.org) على شكل ملفات مرفقة (ms Word). وعموما ينبغي ألاّ يتجاوز طولها 10.000 كلمة، وألاّ يقل عن 4.000 كلمة، دون الحواشي.

وينبغي أن تُستهل البحوث بملخّص لا يتجاوز 300 كلمة، ومصحوب بخمس (5) كلمات مفتاحية دالة على مضمون البحث.

وينبغي أيضا إلحاق قائمة المصادر المستخدمة في البحث بنهاية المقالة. وينبغي كتابة ألقاب الباحثين قبل الأسماء.

وينبغي للباحثين أن يرفقوا ملفا مستقلا عن خبراتهم الأكاديمية والمهنية الحالية والأخيرة وأبحاثهم المنشورة بالمقالات المقدّمة. وينبغي ألا تتجاوز السيرة الذاتية الموجزة المقدّمة مع المقالات 300 كلمة.

ومن شروط النشر أن يتنازل الباحثون عن حقوق نشر مقالاتهم، بما في ذلك الملخصات، لمجلة إرسيكا.

لا تتحمل هيئة تحرير المجلة أو ناشرها إرسيكا مسؤولية الآراء والأفكار التي يعبَّر عنها أصحابها في مجلة إرسيكا. إن السياسة التحريرية لمجلة إرسيكا هي تعزيز النقاش الأكاديمي الحيّ ولكن مع تجنب الجدال غير اللازم. ولهذا فليس من الضروري أن توافق آراءُ الباحثين آراءَ الناشر.

لا يجوز استنساخ المجلة أو أيِّ جزءٍ منها أو توزيعها بأي شكلٍ من الأشكال وبأيِّ وسيلةٍ كانت، ولا يجوز تخزينها في قاعدة بياناتٍ أو نظام لاسترجاع المعلومات، دون سابق إذنٍ من الناشر إرسيكا. ويمكن طلب إذنٍ رسميٍّ من دائرة الأبحاث والنشر في إرسيكا للاستنساخ أو التوزيع.

للتواصل مع مكتب التحرير

تُرسل جميع الأعمال والمراسلات التحريرية المتعلقة بالمجلة إلى العنوان الآتي:

IRCICA Journal, Alemdar Cd., No: 15, Bâbıâli Girişi,

34110 Cağaloğlu, İstanbul, Türkiye
e-Mail: ircica@ircica.org
Tel: +90 212 402 00 00 Fax: +90 212 258 43 65
www.ircica.org

في هذا العـــــدد

مقالات باللغة العربية

١٣
العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية التي ساهمت في انتشار الإسلام في شرق أفريقيا

د. سليّم بن محمد بن سعيد الهنائي

قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

Natural and Human geographic factors which Contributed to the Spread of Islam in Eastern Africa

Salim Bin Mohamed Bin Said Al-Hanaay, Dr.
Department of History, Faculty of Arts and Social Sciences, Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman

٤٩
أثر اللغة العربية على اللغة السواحلية

د. سالم خميس محمد خميس

قسم اللغات والترجمة، جامعة المسلمين بمرغرو، تنزانيا

The impact of Arabic on the Swahili Language

Salem Khamis Mohammed Khamis, Dr.

Languages and Translation Department, Islamic University in Bemergro, Tanzania

في هذا العـــــدد

مقالات باللغة الإنجليزية

13
Creating the Culture of Tolerance and Co-Existence in the Zanzibar Sultanate

Abdulkadir Hashim, Dr.
Department of Philosophy and Religious Studies, University of Nairobi, Kenya

خلق ثقافة التسامح والتعايش في سلطنة زنجبار

د. عبد القادر هاشم
دائرة الفلسفة والدراسات الدينية، جامعة نيروبي، كينيا

47
Muslims in İstanbul (Constantinople) During the Byzantine Period

Cesim Avcı, Prof.
Marmara University, Faculty of Theology, Department of Islamic History and Art, İstanbul, Turkey

المسلمون في القسطنطينية خلال العهد البيزنطي

أ. د. جاسيم أوجى
جامعة مرمرة، كلية الإلهيات، دائرة التاريخ والفنون الإسلامية، استانبول، تركيا

71
Markets (Bazars) and Their Role in the Life of Cities in Central Asian Khanates

Gulchehra Agzamova , Prof.
Institute of History of Academy of Sciences of Uzbekistan

الأسواق (البازارات) ودورها في الحياة في المدن التابعة للخانات في آسيا الوسطى

أ. د. كول شهرا أغزاموفا
معهد التاريخ لأكاديمية العلوم في أوزبكستان

91
An outline of the Educational System in Muslim Bengal Under the Turko-Afghan Sultanate (1204-1576)

Thowhidul Islam , Assis. Prof.
International Islamic University Chittagong (IIUC), Bangladesh

نبذة عن النظام التربوي في البنغال الإسلامية في عهد السلطنة التركية الأفغانية (1204-1576م)

أ.م. توحيد الإسلام
الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلاديش

افتتاحية

يسرّنا ونحن نقدّم للعدد الخامس من مجلة إرسيكا العلمية أن نرى بأن المجلّة قد باتت بنجاحٍ حيّزا مهمّا لبحوث ودراسات متداخلة الاختصاصات حول التاريخ الإسلامي. وقدٍ كان إطلاق هذه المجلة بمثابة مرحلة هامّة ومقدّمة لانتشار علوم ومعارف جمّة كان إرسيكا صانعاً لها بصفته الجهاز الثقافي لمنظمة التعاون الإسلامي. كما يسعدنا أن نرى بأن عمل المركز المتعدّد التخصصات قد جاء بنتائج مثمرة. وتماشيا مع مهام المركز الرسمية، فقد تعزّزت مكانة مجلة إرسيكا فغدت منبرا عالميا مرموقا للعمل العلمي والبحثي حول التاريخ الإسلامي وما ينطوي عليه من حضارة وتراث وعمران وفنون وعلوم وهلم جرا.

ويتضمّن هذا العدد أربع مقالات بحثية باللغة الإنجليزية ومقالتين بحثيتين باللغة العربية تعكس عالميّة المجلة. كما يسلّط مضمون المقالات الضوء على النطاق الجغرافي الواسع للبحوث والأنشطة التي يقوم بها مركزنا من جنوب آسيا ووسطها إلى أفريقيا ومن البلقان إلى الشرق الأوسط.

وتسرد المقالة الأولى لهذا العدد، من إعداد الدكتور عبد القادر هاشم من جامعة نيروبي في كينيا، قصة زرع ثقافة التسامح والتعايش في سلطنة زنجبار. وفكرتها الرئيسية هي نجاح السلطنة إبان حكمها في غرس ثقافة التعايش في نفوس مواطنيها. ويؤكد الدكتور هاشم أن تعايش المجموعات العرقية المختلفة من العرب والأوروبيين والأفارقة والآسيويين وغيرهم قد واكبه أيضا تنوع ديني وثقافي وذلك طيلة قرن من الزمن إلى أن جعلت الإدارة الاستعمارية البريطانية تتلاعب بهذا الوئام. واستنادا إلى دراسات حول الرق والمحفوظات الوطنية، يشير

الدكتور هشام إلى أن الإدارة الاستعمارية البريطانية قد استخدمت التنوع العرقي والثقافي القائم فاعتمدت سياسة تقسيم المواطنين على أساس معايير عرقية أدت إلى إضعاف الروابط الاجتماعية بين مختلف الأعراق في زنجبار. وتبيّن هذه المقالة حقا أثر الاستعمار على تدهور الروابط الاجتماعية التقليدية في شرق أفريقيا.

وتركز المقالة الثانية، وهي للبروفيسور جاسيم أوجى من جامعة مرمرة، على الوجود الإسلامي في استانبول (القسطنطينية) في العصر البيزنطي. وينصب تركيزه الرئيسي على التزايد التدريجي للمسلمين في المدينة نتيجة للعلاقات السياسية والعسكرية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين البيزنطيين والمسلمين خلال ما يقرب من تسعة قرون منذ نشأة الإسلام في أوائل القرن السابع إلى غزو المدينة في عام 1453م. ويقدّم البروفيسور أوجى من خلال تغطيته لمدة زمنية طويلة وصفا عن مجموعة واسعة من الشخصيات الإسلامية مثل السفراء والتجار والعلماء والمسافرين والشعراء الذين قصدوا المدينة لأسباب مختلفة، فضلا عن بعض الأشقياء مثل السجناء والعبيد. كما يقدّم وصفا غنيا للعلاقات بين المسلمين والبيزنطيين من خلال اعتماده على مصادر مختلفة من كتابات الرحالة والسجلات التاريخية الرسمية والأخبار وكتيبات السياسة الخارجية والأشعار.

تقدّم المقالة الثالثة لهذا العدد، وهي من إعداد الأستاذ المساعد توحيد الإسلام، من الجامعة الإسلامية الدولية في شيتاغونغ ببنغلاديش، ملخصا عن النظام التربوي في البنغال الإسلامية في عهد السلطنة التركية الأفغانية (1205 - 1576م). ومن خلال تقديم نبذة عن تطور المؤسسات التعليمية على مدى عدة قرون، يعرض توحيد الإسلام الفوارق بين النظام التربوي البوذي والنظام التربوي البرهماني. وتمحورت المقالة حول فكرة رئيسية وهي أنه مع الفتح الإسلامي على يد الأتراك في أوائل القرن الثالث عشر، ازدهر نظام تربوي جديد ومتنوع في مجتمع البنغال فتح مرافق تعليمية لجميع الناس بغض النظر عن التقسيمات الطبقية. وقد كانت المراكز الدينية البوذية والبرهمانية قبل الإسلام تعمل أساسا كمؤسسات تعليمية؛ وكانت المعرفة لا تستفاد إلا من طريق اللغة السنسكريتية التي كانت مقصورة على

الطبقات الراقية. والغاية من المقالة هي اكتشاف طبيعة النظام التعليمي الجديد الذي تم تطويره في ظل السلطنة الإسلامية التركية الأفغانية.

أما المقالة الرابعة، من إعداد البروفيسور كول شهرا أغزاموفا، من معهد التاريخ في أكاديمية العلوم بأوزبكستان، فتقدّم وصفا دقيقا للأسواق (البازارات) في آسيا الوسطى. وهي مقالة مهمة جدا من حيث أنها تبرز دور البازارات في النسيج الاجتماعي لمجتمعات آسيا الوسطى. واستنادا إلى المحفوظات والروايات التاريخية وكتب الرحالة، يكشف بحث أغزاموفا عن الأبعاد المختلفة للأسواق وعلاقتها بتكوين المدن في خانات آسيا الوسطى. فهي تبيّن أن خصوصيات هذه الأسواق، بناء على خرائطها الطبوغرافية وتخصّصاتها ومواقعها وأحجامها، تختلف عن بعضها البعض. وتقدّم أغزاموفا بيانا مفصلا عن أسواق آسيا الوسطى التي لعبت دورا هاما في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمدن آسيا الوسطى من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر.

أما المقالات باللغة العربية، فالمقالة الأولى هي من إعداد الدكتور سليّم بن محمد بن سعيد الهنائي، من قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، في جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان؛ وتتناول العلاقات العربية الإفريقية وانتشار الإسلام من الجزيرة العربية إلى شرق إفريقيا. وركّز الدكتور سليّم في بحثه على العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية التي ساهمت في انتشار الإسلام في شرق أفريقيا إضافة إلى عوامل أخرى أهمها التجارة الداخلية البرية في شرق أفريقيا أو التجارة البحرية مع سكان الجزيرة العربية. فأوضح أن بداية العلاقات العربية الإفريقية كانت عن طريق التجارة حيث كان السبئيون (عرب جنوب شبه الجزيرة العربية) أول العرب الذين قدموا إلى الساحل الشرقي لأفريقيا بغرض التجارة لا الغزو؛ وعلى الرغم من أنهم وفدوا في أعداد قليلة إلا أنهم داوموا في تجارتهم واختلطوا بأهل الساحل وتزوَّجوا منهم وأقاموا محطات تجارية. وقد ظهرت العادات والتقاليد العربية واللغة السواحلية على طول خط الساحل الشرقي خمسمائة عام قبل الميلاد. واستشهد المؤلف بأمثلة على تجار وعلماء عرب ركبوا البحر عبر المحيط الهندي متجهين إلى مناطق نائية من شرق أفريقيا حيث قدّموا هنالك تعاليم إسلامية.

وأعدّ المقالة الثانية، وعنوانها «أثر اللغة العربية على اللغة السواحلية»، الدكتور سالم خميس محمد خميس، رئيس قسم اللغات والترجمة في جامعة المسلمين في بمرغرو، تنزانيا. والغاية من البحث كما أوضح الدكتور خميس هو دراسة آثار اللغة على اللغة السواحلية. ولهذا الغرض فقد اعتمد على المنهج الوصفي والتحليلي والاستقرائي، واستخدم القواميس السواحلية والعربية وغيرها من المصادر والمراجع في جمع المعلومات، وذلك من خلال دراسة الأنظمة اللغوية، وهي النظام الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي. وتوصل الدكتور خميس في بحثه إلى أن 26 ٪ من مفردات اللغة السواحلية مقترضة من اللغة الغربية، وأن السواحلية قد اقترضت بعض الكلمات العربية مع وجود ما يقابلها في السواحلية، فصارت مرادفةً لها. ومما توصل إليه البحث أيضا أن بعض الكلمات المقترضة قد استُعمل في السواحلية بنفس المعنى الذي يُستعمل في العربية، في حين أن البعض الآخر قد استُعمل بمعنى آخر مخالف تماما. كما خلص الدكتور خميس إلى أن اللغة السواحلية قد كُتبت لأول مرة بالحرف العربي ولكنها ليست عربية الأصل، وإنما هي بَنتُويّة رغم انتساب اسمها إلى العربية، وكثرة تأثرها بها.

وبما يشتمل عليه هذا العدد من مقالات بحثية قيّمة حول تاريخ الحضارة في شرق أفريقيا، ووسط آسيا وجنوبها، فما من شك أنه سيفتح آفاقا جديدة للبحث في هذه المجالات. وإنه ليسرّنا ويشرّفنا أن نقدّم هذا العدد الخامس من مجلة إرسيكا لحضرة الأكاديميين والباحثين في جميع أنحاء العالم.

مدير عام إرسيكا
الدكتور خالد أرن

العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية التي ساهمت في انتشار الإسلام في شرق أفريقيا*

سليّم بن محمد بن سعيد الهنائي**

المقدمة:

إن الحديث عن دور الحضارة الإسلامية في شرق أفريقيا لهو حديث واسع ومتشعب نظراً لأن دور الحضارة الإسلامية لا يمكن تحجيمه ببحث ولا بكتاب، كما أن الكتابة عن الحضارة الإسلامية لا يتوقف على الدوام بسبب الأدوار العديدة التي لعبتها الحضارة الإسلامية وما زالت في خدمة البشرية.

وسنحاول في هذا البحث جاهدين أن نقف على العوامل الجغرافية سواء منها الطبيعية أو البشرية التي ساهمت في نشر الإسلام في شرق أفريقيا. ومما لا شك فيه أن فصل عملية إنتشار الإسلام في شرق أفريقيا عن باقي أجزاء القارة من الصعوبة بمكان نظراً لترابط العوامل والأسباب في ذلك، لكننا سنحاول جاهدين أن نحصر الموضوع قدر الإمكان في شرق أفريقيا حتى نبلغ المأمول من بحثنا.

وفي هذا البحث سنحاول التركيز على الجانب الجغرافي سواء الطبيعي أو البشري الذي عمل على إنتشار الإسلام في شرق إفريقيا، مع التفصيل في العوامل الجغرافية والديموجرافية التي أسهمت في إنتشار الإسلام هذه العوامل سواء منها ما كان بسبب الظروف الطبيعية مثل المناخ والرياح وطبيعة الأرض والساحل أو ما كانت بسبب الإنسان نفسه متمثلة في عادات وتقاليد سكان المنطقة ونمط معيشتهم أو بسبب الاندفاع البشري القادم من الجزيرة العربية وبالتحديد من عمان واليمن،

---

* بحث مقدم إلى الندوة الدولية حول تاريخ الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا (زنجبار، تنزانيا، 3-6 سبتمبر 2013م).

** قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

هذه العوامل الأنفة الذكر كانت من الأسباب الرئيسية التي ساهمت في إنتشار الإسلام في شرق أفريقيا إضافة إلى مجموعة من العوامل الأخرى ومن أهمها التجارة الداخلية البرية في شرق أفريقيا أو التجارة البحرية مع سكان الجزيرة العربية، وسيتناول البحث كل ذلك إضافة إلى تناوله طبيعة المسالك والمراحل والوسائل التي أنتشر بها الإسلام بصورة ديناميكية لم يشهدها دين أخر.

كما سنسلط الضوء في هذا البحث على دور العوامل الجغرافية في المناطق التي خرج منها كثير من الدعاة المسلمين، ونحن على علم أن هؤلاء الدعاة قدموا إلى أفريقيا في البداية رغبة في التجارة ومن ثم تحولت العملية إلى استيطان، حيث كان للتجارة دوراً كبيراً في نشر الإسلام.

وينقسم البحث إلى مقدمة توضح أهمية تناول العامل الجغرافي في مثل هذه الدراسات، وثلاثة فصول تمثل المحاور الأساسية للعوامل الجغرافية في نشر الإسلام في شرق أفريقيا وخاتمة توضح أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث، كما يحتوي البحث على ملاحق توضح حركات الرياح الموسمية والرياح الغربية، وصور لاتجاهات الهجرة، وخرائط لمناطق التجارة الداخلية والخارجية، وجداول توضح نسب توزيع المسلمين في أفريقيا.

نسأل الله التوفيق إنه تعالى من وراء القصد.

تؤثر البيئة الجغرافية تأثيراً كبيراً على سلوك الأفراد، كما أنها تؤثر على ثقافة ذلك المجتمع وتحدد توجهاته المعرفية، ولقد استطاع الإنسان بحكمته وفهمه للبيئة التي يعيش فيها أن يكيف نفسه عليها، إذ فرض سيطرته على البيئة الجغرافية، وكان هدفه من ذلك الخروج من حتمية هذه البيئة المفروضة عليه، وأن يجد الأساليب والآليات التي تساعده على إخضاع البيئة تحت سيطرته، وقد أوجد ذلك نوعا من العلاقة الحميمة بينه وبين البيئة الجغرافية، والتي تتمثل في الموقع والتضاريس والمناخ ومدى تأثيرهم عليه).[1]

[1] البطراني، جمعة بن خلفان بن صالح. أثر العمانيين في نشر الثقافة الإسلامية في شرقي أفريقيا خلال عصر دولة البوسعيد 1744-1964م. إشراف عبد المنعم محمد البراي، القاهرة: جامعة الأزهر، كلية الدعوة الإسلامية، 2010م.ص23

وليس من قبيل المصادفة أن دولا بذاتها لعبت دورا حضاريا فاعلا في عمر البشرية، بينما دول أخرى لعبت دورا متواضعا، فالموقع الجغرافي لبلد ما يعد محطة لشبكة من العلاقات والقيم الحضارية، وقد اعتبر بعض المؤرخين الموقع بمثابة محطة الموارد الطبيعية للثروة القومية وعدها رأسمالا طبيعيا وسياسيا أصيلا، بل إن الموقع الجغرافي يعد في حالات كثيرة الرأسمال الحقيقي لعدد من الدول التي استثمرت موقعها أحسن استثمار بجدارة فائقة.

بداية العلاقات العربية الأفريقية:

كان السبئيون (عرب جنوب شبه الجزيرة العربية) أول الشعوب العربية التي أتت إلى الساحل الشرقي لأفريقيا بغرض التجارة لا الغزو، وعلى الرغم من أنهم وفدوا في أعداد قليلة إلا أنهم داوموا في تجارتهم، واختلطوا بأهل الساحل، وتزوَّجوا منهم، وأقاموا محطات تجارية، وفي منتصف الألف سنة التي سبقت ميلاد المسيح بدأ الطابع العربي يَظْهَر على طول الساحل، ولم يَفْقِد هذا الساحل شخصيته المميَّزة، إذ كان يُدْعَم بشكل دائم بالوافدين من جزيرة العرب والخليج العربي[2].

ويذكر مؤرِّخو الإغريق القدماء عن «الزنج»[3] الذين كانوا يعيشون في سواحل شرق إفريقيا، أنهم شيَّدوا مدنًا ساحلية كانت على عَلاقات تِجارية راسخة مع شبه الجزيرة العربية والهند[4].

ومن المرجَّح أن يكون عرب جزيرة العرب -خاصَّة عرب الجنوب- هم أقدم

---

[2] الحويري. محمود محمد، ساحل شرق أفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي. ط 1، القاهرة: دار المعارف، 1986م.ص16.

[3] الزنج وهو الاسم الذي أطلقه الجغرافيون العرب في العصور الوسطى للدلالة على الساحل الشرقي لأفريقيا وعلى سكانها السود. ومنها سميت زنجبار أحد طرق أتحاد دولة تنزانيا حيث كان اسمها زنجبار أو زنج بر أي بر الزنوج وهي في الساحل المواجه للجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية. وقد أطلق العرب على الرقيق الأسود (زنوج) نسبة إلى زنجبار (الساحل الشرقي لتنزانيا حاليا) حيث تم جلبهم من هناك كعبيد ومن ثم أطلق الاسم على جميع الجنس الأسود. جوزيف، جوان. الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء. ترجمة مختار السويفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1984م. ص131

[4] المصدر نفسه، ص131.

الشعوب العربية اتِّصالاً بالسواحل الشرقية الإفريقية، بحكم الجوار الجغرافي، وساعدهم على قيام هذه الصلات نظام الرياح الموسمية، والتي كانت تمكِّن السفن الشراعية الصغيرة من القيام برحلتين على الأقل في العام؛ ففي الخريف تدفعها الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من خليج عُمَان وسواحل الجزيرة العربية نحو الساحل الإفريقي، وفي فصل الربيع تدفعها في اتجاه الشمال الشرقي، حيث تمكِّنها من العودة إلى قواعدها، وفي خلال دورة الرياح يتمُّ التعامل التِّجاري[5].

وترجع صلة العرب بشرق أفريقيا إلى أقدم العصور، حيث أصبح هؤلاء العرب بعد إنتقالهم إلى شرق أفريقيا بحكم القرب الجغرافي الطبقة ذات النفوذ بين السكان الزنوج، وبسبب مجموعة من العوامل الجغرافية المتمثلة في الجوار والقرب بين شرق أفريقي وبلاد العرب ونتيجة للظروف الطبيعية المتعلقة بإتجاه الرياح وإتجاه ساحل شرق أفريقيا، نجد أن الصلات بين المنطقتين تزداد نشاطا تبعها فيما بعد إنتشار الإسلام[6].

كانت تلك إذن بداية العَلاقات بين سكان شبه الجزيرة العربية وبين شرق القارة الإفريقية، وقد مهَّدَ هذا الأمر لوصول الإسلام ثُمَّ نَشْرِهِ بعد ذلك في تلك الأماكن.

أخذ الإسلام في الانتشار خارج الجزيرة العربية وقد اقترن انتشاره منذ البداية بحركات سياسية كبرى صحبت إنشاء الدول العربية المتتابعة، وأن موجة انتشار الإسلام في العالم امتدت حتى شملت نحو خمس المجموعة البشرية كلها وانتشاره بين أمم مختلفة في ألسنتها وألوانها ونزعاتها وطبيعة أرضها وجوها وأسلوب حياتها وأن ثباته واستقراره هذا على الرغم من كل عوامل التدمير التي سلطت ولا تزال تسلط عليه في داخل أرضه وفي خارجها، وهو في قابليته لزيادة الانتشار على الدوام كلما رفعت الحواجز من طريقه، و تقبل النفوس له بسرعة كلما مر عليها دون صراع ولا خداع .

---

[5] الغنيمي، عبد الفتاح مقلد. الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا. القاهرة: عالم الكتب، 1998م. ص 22، 23.

[6] الشنتاوي، أحمد. وآخرون. دائرة المعارف الإسلامية. مراجعه محمد مهدي علام. مج7، بيروت: دار المعرفة، 1980م. 15 مج. ص 464.

لقد كانت الصلات بين جزيرة العرب وشرق أفريقيا موجودة قبل الإسلام، لكنها لم تكن قوية بسبب أنها كانت تقوم على المادة في المقام الأول، حيث تنفصل عرى هذه الصلات عند حدوث خلاف أو تعارض بالمصالح، حيث كان ينظر سكان أفريقيا إلى العربي نظرتهم إلى التاجر الذي لا يقدم لبلادهم سوى لتحقيق مصالح شخصية وأنهم يثرون على حسابهم، فنظرة الشك والريبة كانت موجوده، وإذا كانت بعض مفردات اللغة العربية قد سادت فمرده إلى أنها لغة الأقوى ولغة الإقتصاد، بل أن هذه المفردات زادت بشكل كبير بعد وصول الإسلام وانتشاره بين السكان[7].

وللإسلام في كلِّ مكانٍ وَصَلَ إليه قِصَّةٌ؛ تحكى جهود الأجداد في نشر الإسلام في ربوع الأرض، وبين كل البشر، ليَعُمَّ الخيرُ، وينتشر العدلُ، وتُشرق الأرض بنور ربها.

ومن بين البقاع التي نَعِمت بنور الإسلام في وقت مبكر، تلك الأرض الممتدة على الساحل الشرقي للقارة الأفريقية والأراضي القريبة منها كذلك، والتي تضم اليوم مجموعة من الدول هي إريتريا وإثيوبيا والصومال وكينيا وتنزانيا وأوغندا وجيبوتي وموزمبيق ومدغشقر وملاوي وزامبيا وزمبابوي وبوروندي ورواندا وجزر القمر وموريشيوس وسيشيل... وقد كان يُطلق على الأراضي الساحلية منها أرض الزنج[8].

وينتشر الإسلام على شاطئ المحيط الهندي إلى مصب الزمبيزي ولا نجد جنوب ذلك إلا نفرا من مسلمي الهنود الذين جاءوا لزراعة القصب في ناتال، كما أن دخول الإسلام إلى هضبة البحيرات تم عن طريق زنجبار وبالتحديد على أيدي العرب المسلمون .[9]

---

7 شاكر، محمود محمد. التاريخ الإسلامي في شرق أفريقيا. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1997م. ص5.

8 جوزيف، جوان. الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء. ترجمة مختار السويفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1984م. ص 139.

9 الغنيمي، المصدر السابق، ص 26.

وصف الجغرافيين المسلمين لساحل أفريقيا الشرقي:

ظهرت كثير من المعلومات التي تخص شرقي أفريقيا في المصنفات العربية ابتداء من القرن التاسع الميلادي، فجغرافيو العرب كان لهم السبق في مجال المعرفة بالقارة الأفريقية، ويعود ذلك إلى المعرفة والخبرة الواسعة التي اكتسبها العرب منذ القدم نتيجة لرحلاتهم التي يمخرون فيها عباب البحر أو ركوبا على ظهور الدواب.

وتعتبر أولى الكتابات العربية عن شرق أفريقيا ما كتبه سليمان التاجر حيث وصف وصفا حيا للسواحل الشرقية من إفريقيا، مع وصفه للموانئ المختلفة وسكانها والمحاصيل التي تحتويها، كما وصف كذلك بلاد الزنج (زنجبار) [10]، وفي أواخر القرن التاسع الميلادي خص ابن خرداذبة ساحل أفريقيا الشرقي بنصيب كبير من الوصف[11]، وفي أوائل القرن العاشر كان أبو الحسن المسعودي يتردد كثيرا على شرق أفريقيا ما بين عام 916 وعام 926م، وأفاض في كتابه مروج الذهب الحديث عن الجزء الغربي من المحيط الهندي، فقال:(لم أشاهد أهول من بحر الزنج موجه عظيم كالجبال الشواهق، يرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كأخفض ما يكون من الأودية، ويزعمون أنه موج مجنون)[12].

وقد أقام المسعودي في ساحل أفريقيا الشرقي مدة من الزمن، لكن لم يتخط الساحل إلى الداخل، ووصف المسعودي الزنوج بأنهم يعيشون في إقليم يمتد مسافة ألفين وخمسمائة فرسخ على الساحل صوب الجنوب في المنطقة المعروفة حالياً بالقرن الأفريقي الذي يمتد شمالاً إلى موزمبيق وجنوبا إلى سفالة وهي أرض الذهب والعجائب وهي خصبة حارة[13]، وجاء الإدريسي وأخذ يصف شرق أفريقيا

---

[10] التاجر، سليمان. وأبي زيد الحسن السيرافي. أخبار الصين والهند. ترجمة يوسف الشاروني، الدار المصرية اللبنانية، 1999م. ص37.

[11] ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت272هـ/885م): المسالك والممالك. دار أحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.، ص60.

[12] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر. ج1، الطبعة السادسة، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت: 1404هـ/1984م. ص190.

[13] المصدر نفسه، ص 203

وصفاً دقيقاً على الرغم من أنه لم يرحل إليها ، مما يدل على أن الرجل كان بحاثة يقرأ ولذا تضمن كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) تلك التفاصيل وكان من جملة ما قال: (وتتصل بأرض الزنج قرى كثيرة كل قرية منها على خور وجميع بلاد الزنج بضائعهم الحديد وجلود النمور الزنجية وهي جلود إلى الحمرة رطبة جدا وليس عندهم دواب وإنما يتصرفون بأنفسهم وينقلون أمتعتهم على رؤوسهم وعلى ظهورهم إلى مدينتي منبسة[14] وملندة[15] فيبيعون هناك ويشترون)[16].

وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي برز أحد المصنفين العرب، وهو أبو الحسن علي بن سعيد المغربي الذي وضع كتاب الجغرافيا، أورد فيه معلومات عن سواحل شرق أفريقيا [17] .

وفي الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي وفد الرحالة العرب ابن بطوطة إلى ساحل شرق أفريقيا وتحدث عن الازدهار الذي بلغه أهل الساحل وأخذ يصف تلك المدن بما تحويه من نباتات وأشجار وفواكه وكان من جملة ما قال: (ثم ركبت من مدينة مقديشو متوجها إلى بلاد السواحل قاصدا مدينة كلوة من بلاد الزنوج فوصلنا إلى جزيرة ممباسة وهي كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا بر لها وأشجارها الموز والليمون والأترج ولهم فاكهة يسمونها الجمون وهي شبه الزيتون ولها نواة كنواته إلا أنها شديدة الحلاوة ولا زرع عند أهل

---

[14] منْبسه بالفتح ثم السكون، وباء موحده، وسين مهمله: مدينه كبيره بأرض الزنج ترفأ إليها المراكب، الحموي، شهاب الدين أو عبدالله ياقوت بن عبدالله .معجم البلدان. مج:0. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1979م. 8 مج، ص000

[15] ملنده على ضفة البحر على خور ماء عذب وهي مدينة كبيرة وأهلها محترفون بالصيد برا وبحرا فيصيدون في البر النمور والذئاب ويصيدون في البحر ضروبا من الحيتان فيملحونها ويتجرون بها وعندهم معدن حديد يحتفرونه ويعملونه وهو جل مكسبهم وتجارتهم وأهلها يزعمون أنهم يسحرون الحيوان الضار حتى لا يضر إلا لمن أرادوا ضره والنقمة منه وأن السباع والنمور لا تعدو عليهم بما يسحرونها به واسم الساحر عندهم بلغتهم المقنقا، الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس. نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. مج1. إيطاليا :طبع روما، 1971م. 4 مج. ص.

[16] الإدريسي، المصدر نفسه، ص 156-157.

[17] المغربي، ابن سعيد علي بن موسى. كتاب الجغرافيا. تحقيق إسماعيل العربي، ط.1، بيروت: المكتب التجاري، 1970م.ص 103.

هذه الجزيرة وإنما يجلب إليهم من السواحل و أكثر طعامهم الموز والسمك وهم شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم من الخشب محكمة الإتقان وعلى كل باب من أبواب المساجد البئر والشتان وعمق آبارهم ذراع أو ذراعان فيسقون منها الماء بقدح خشب قد غرز فيه عود رقيق في طول الذراع والأرض حول البئر والمسجد مسطحة فمن أراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل ويكون على بابه قطعة حصير غليظ يمسح بها رجليه ومن أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذيه وصب على يديه ويتوضأ وجميع الناس يمشون حفاة الأقدام وبتنا بهذه الجزيرة ليلة وركبنا البحر إلى مدينة كلوة وهي مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزنوج المستحكموا السواد ولهم شرطات في وجوههم كما هي في وجوه الليميين من جناوة، وذكر لي بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كلوة ، وأن بين سفالة ويوفي من بلاد الليميين مسيرة شهر ومن يوفي يؤتى بالتبر إلى سفالة ومدينة كلوة من أحسن المدن وأتقنها عمارة وكلها خشب وسقف بيوتها من الديس والأمطار بها كثيرة وهم أهل جهاد لأنهم في بر واحد مع كفار الزنوج والغالب عليهم الدين والصلاح)[18] .

انتشار الإسلام في شرق أفريقيا:

إن انتشار الإسلام في القارة الإفريقية الذي استمر فترة تقرب من ثلاثة عشر قرنا يعتبر تاريخا للعروبة، ذلك لأن الإسلام والعروبة والحضارة الإسلامية والحضارة العربية أصبحت مترادفات لشيء واحد من الصعب تقسيمه أو فصله.

ومما لا شك فيه أن الشرق العربي مهد الإسلام كان منذ أقدم العصور مدرسة للإنسانية نشأت فيه غير واحدة من المدنيات القديمة، وفيه ظهرت الأديان السماوية ومنه انتشرت ذات اليمين وذات الشمال وفيه احتك الشرق بالغرب فتعارف الاثنان وتعلم كل منهما من الآخر بعض ما لم يكن يعلم، وقد مر الشرق العربي في

---

18 ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبدالله بن محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي. تحفة الأنظار في عجائب الأسفار وغرائب الأمصار. قدم له وحققه ووضع فهارسه عبدالهادي الترازي، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1997م.مج 2، ص151.

تاريخه الطويل بكثير من التجارب والأحداث ولا شك أن تاريخه الطويل القابل سيحفل بمثل ما حفل به ماضيه.

وكان نزول العرب إلى شرق إفريقية امتداداً طبيعياً لهم من جزيرة العرب لأنه يحكم القرب المكاني ونظرا لظروف جزيرة العرب الطبيعية نجد أن العرب نزحوا إلى هذه المنطقة في القارة الأفريقية واتصلوا بالقبائل الوطنية فظهرت أجيالا جديدة معتزة بأفريقيتهم كاعتزازهم بهويتهم وإسلامهم.

إستقر العرب أول الأمر على الساحل ولكن لما كان هذا النطاق الساحلي محدودا في إمكانياته فنجدهم بحكم الضرورة يتوغلون في الداخل بحثا عن مناطق أكثر غنى وسيكون ذلك بداية الاحتكاك بين العرب المسلمين والشعوب الأفريقية.

ومن مظاهر الاحتكاك السلمي الذي تم بين العرب المسلمين وبين القبائل الأفريقية القضاء على كثير من العادات القديمة المنافية للإسلام وكان هؤلاء العرب تجاراً في مجموعهم وقد حملوا بالإضافة إلى متاجرهم حضارة عربية إسلامية ما زالت آثارها باقية إلى اليوم .[19]

العوامل الجغرافية الطبيعية التي ساهمت في انتشار الإسلام في شرق أفريقيا:

كان للعوامل الجغرافية اكبر الأثر في ربط الشعوب المطلة على المحيط الهندي منذ القدم، فالرياح الموسمية الشتوية الشمالية الشرقية ساعدت السفن عندما لم يكن الإنسان يعرف النزاع، لذا فقد شهد المحيط الهندي صلة دائمة مستمرة بين أسيا وأفريقية ساعدت على قيامها العوامل الجغرافية المختلفة، ومن الملاحظ أن صلة عمان بشرق أفريقيا كانت أقوى من صلة اليمن أو حضرموت وذلك لعدة عوامل منها العامل الجغرافي الذي جعل من عمان نقيض واضح لليمن، ذلك أن اليمن تولى وجهها أكثر نحو الشمال نحو الحجاز وما وراءه من ارض الشام حيث كانت تبدأ وتنتهي رحلة الشتاء والصيف، أما عمان فتتجه أكثر نحو البحر،

---

19 لغنيمي، المصدر السابق، ص 37.

ذلك لأنها منعزلة عن داخلية جزيرة العرب بسبب وجود صحراء الربع الخالي، التي تعتبر بحر من الرمال يصعب اجتيازه.

أولاً: الموقع والحدود:

يشمل شرق أفريقيا حسب المفهوم الحديث دول كينيا وأوغندا والصومال وجزر القمر ومدغشقر وتترانيا التي تتكون من تنجانيقا وزنجبار بعد أن اتحدتا في يوم السبت الموافق 7 ديسمبر 1963، هذا كله كان يعرف قديما باسم (شرق أفريقيا البريطاني)، بالإضافة إلى رواندا وبروندي، وتتمتع هذه المنطقة بمساحة ضخمة تبلغ حوالي 8,1 مليون كيلو متر مربع، وتمتد بين خطي عرض 5,4 درجة شمالاً حتى خط عرض 10 جنوباً، كما تمتد بين خطي طول 30 - 40 درجة شرقا، ويمكن تحديد منطقة شرق أفريقية بشكل عام فيما بين مضيق باب المندب شمالا ومصب نهر الزمبيزي جنوبا، وهذه المنطقة تمتد نحو 32 درجة عرضية.

وسميت المنطقة بشرق أفريقيا –أو بشرقي أفريقيا والياء في كلمة شرقي هي ياء النسبة – لأن الطابع الذي يميزها تستمده من موقعها الجغرافي في شرقي القارة، (فالأخدود الغربي) يكاد يكون فاصلا بين هضبة شرق أفريقيا وبين منخفض زائير، الأمر الذي جعل علاقات السكان وتوجههم منذ القديم نحو الساحل المطل على المحيط الهندي وهو الذي كانت تتدفق إليه تجارة العرب بصورة جماعية على الساحل الشرقي الأفريقي، وعندها بدأت الحركة التجارية التي ازدهرت، واختلطت مع السكان الأصليين العرب والفرس والهنود، وظهر التزاوج فيما بينهم، مما أدى هذا إلى ظهور هجين جديد أطلق عليه الشعب السواحيلي وظهرت لغة جديدة تسمى اللغة السواحيلية من لغات البانتو وهي لغة مكونة من خليط من اللغات ففيها العربية وفيها الهندية والفارسية والبرتغالية.

وإذا كانت توجد بعض الاختلافات في درجة إنتشار الإسلام على طول هذه الجبهة، فإن الطريقة التي انتشر بها الإسلام كانت واحدة وهي لا تتمثل في أية عمليات للغزو أو الفتح الحربي، ولكنها في المقام الأول عمليات حضارية.

الساحل الشرقي للقارة الأفريقية هو في الواقع الضلع الغربي للمحيط الهندي،

وهذه المنطقة كانت منطقة صراع شديد بين القوى العالمية وشهدت هذا الصراع في القرون التالية للقرن الخامس عشر نظراً لتكالب الدول عليها لما تمتاز به من موقع استراتيجي عام في منطقة حوض المحيط الهندي، ولقربها من منطقة الشرقين الأوسط والأدنى مناطق الصراع والتكالب الرئيسية، كما أن هذه المنطقة تمتاز بخصوبة مناطقها الداخلية التي يمكنها من أن تسد حاجات الجيوش من المواد الغذائية الزراعية وحاجاتها من المواد الخام الأولية أثناء الحروب.[20]

وقد كان المخاطرون من العرب الجنوبيين يخرجون بسفنهم الشراعية مبحرين من الساحل الجنوبي لبلاد العرب أو من الخليج العربي إلى شرق أفريقيا مستفيدين من هبوب الرياح الموسمية حيث يتاجرون على ساحل شرق أفريقية حتى موزمبيق ومن ثم يعودون أيضا بفعل تلك الرياح الموسمية[21].

ومن ناحية أخرى لم يكن مضيق باب المندب عائقا كبيرا يمنع العرب من الوصول إلى الحبشة وشرق أفريقيا أو يمنع الأحباش من الوصول إلى جنوب الجزيرة العربية وأن إمتداد حكم الحبشة على اليمن قبيل ظهور الإسلام وهجرة بعض المسلمين إلى الحبشة فيما بعد دليل على استخدام هذا الطريق[22].

ثانياً: السطح:

تعتبر منطقة شرق أفريقيا منطقة جبلية صعبة وليست سهلية، أي أنها منطقة ليست مفتوحة، ولذا كانت عملية نشر الإسلام من الصعوبة بمكان نظراً لوعورة المنطقة وطوبوغرافيتها الصعبة، ومن الظروف الطبيعية التي ساعدت على تدعيم هذه الصلات إتجاه الجزء الشمالي من الساحل الشرقي للقارة الإفريقية، فنجده يتجه من الجنوب الغربي إلى شمال الشمال الشرقي نحو القارة الآسيوية وهو نفس الإتجاه نحو بلاد العرب، مما ساعد على إعطاء الأمان الكافي لركاب السفن

---

[20] الغنيمي، المصدر السابق، ص43

[21] المصدر نفسه، ص54

[22] يحيى، جلال. العرب في شرق أفريقيا. مجلة النهضة الإفريقية، العدد 3، 1959م.، ص 8

التي كانت تمخر عباب المحيط الهندي من وإلى شرق أفريقية وبلاد العرب وذلك بأن كانت السفن لا تبتعد كثيرا عن الساحل الذي يوازي إلى حد كبير اتجاه الرياح الموسمية التي تهب من الشمال الشرقي في فصل الشتاء حتى أواخر فبراير تقريبا وأيضا التي تتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي في فصل الصيف.

ثالثاً: الرياح الموسمية:

جعلت الرياح الموسمية عرب الجنوب الذين يسكنون سواحل شبه الجزيرة الجنوبية يألفون منذ أقدم العصور القيام برحلات تجارية بين سواحلهم وسواحل كل من شرقي أفريقية والهند. وقد اعتادت السفن أن تقوم برحلة الشتاء والصيف في المحيط الهندي كرحلة الإبل والقوافل بين الشام واليمن، إلا أن رحلة الشتاء والصيف في المحيط الهندي ترتبط بالرياح الموسمية التي تهب من آسيا شتاء وتدفع السفن الشراعية من الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية إلى شرقي أفريقية، وفي الصيف تدفع الرياح بالسفن في الاتجاه العكسي، ولا زالت بقايا هذه الرحلة تحدث حتى الآن على الرغم من التقدم في وسائل النقل البحري. وعندما جاء البرتغاليون إلى شرق أفريقية في أواخر القرن الخامس عشر وجدوا المسلمين في كل مكان من الساحل، بل هم الذين قادوا سفن البرتغاليين إلى الهند.

وتنبغي الإشارة هنا أن الإسلام تأثر بالطريق البحري، ولهذا فإن الأجزاء الساحلية هي التي تزداد فيها نسبة المسلمين إلى جملة السكان، ثم تقل نسبة المسلمين كلما اتجهنا إلى الداخل بحكم البعد عن الساحل وهي المنطقة الأساسية التي كان التجار المسلمون يفدون إليها ويتعاملون معها، وربما يتضح لنا أثر ذلك إذا عرفنا أن المنطقة التي خضعت للحكم الإسلامي فترة ما في شرق أفريقية هي المنطقة الساحلية، فقد تكونت فيها سلطنة كانت تمتد أملاكها بين مسقط وعمان في شبه الجزيرة العربية وبين هذه المناطق الساحلية من شرق أفريقيه، وقد أنشئت هذه السلطنة في عام 1805م على يد السيد سعيد الذي ظل يحكم حتى عام 1856م ونقل عاصمته من مسقط إلى زنجبار في عام 1832م.[23]

---

[23] إسماعيل، أحمد علي. دراسات في جغرافية الإسلام. القاهرة: معهد الدراسات الإسلامية، 1982م. ص 83

رابعاً: مميزات الساحل:

للساحل الشرقي ميزات لا تتوفر في الساحل الغربي فتتعدد فيه المواضع الصالحة لقيام الموانئ بل إن المسافة بين هذه المواضع تعد قصيرة نسبيا مما ساعد على حركة السفن العربية بينها وقد نمت بعض هذه الموانئ حتى أصبحت من أهم موانئ شرق أفريقية وذلك أمثال دار السلام و تانجا و ممباسا، كذلك يمتاز هذا الساحل بتعدد الجزر القريبة منه أمثال زنجبار وبمبا ومافيا، وأن الأعماق فيما بينها وبين القارة لتختلف من مكان إلى آخر، فالعمق بين بمبا والساحل 800 متر وبين زنجبار والساحل يتراوح بين 30-40 متر، أما بين جزيرة مافيا والساحل فيتراوح بين 15-20 متر.

شهدت هذه المنطقة أحداثا خطيرة طوال الخمسة قرون الماضية أعظمها وأهمها شأنا انتشار الإسلام في ربوعها مع نزوح العرب المسلمين إليها.

لقد اتخذنا من التحديد الطبيعي أساسا نعتمد عليه إلى حد بعيد وذلك لاتفاقه مع توزيع المسلمين هناك، بهذا الشكل تنجانيقا وأوغندا وكينيا وجميع أجزاء القرن الأفريقي بما فيه من أقسام الصومال المختلفة وبخاصة الصومال الأثيوبي (الأوجادين) وأريتريا شرق الأفريقية الإسلامية، والمنطقة الأخيرة الأوجادين تعتبر من شرق أفريقية طبيعيا إذ يفصلها عن بقية أثيوبيا الأخدود الشرقي الأعظم، كما أنها تعتبر جزء من شرق أفريقية الإسلامي لوجود منطقة فاصلة خالية من المسلمين في وسط الهضبة الأثيوبية وهي امتداد منطقة فاصلة مماثلة لها في جنوب سودان وادي النيل[24].

العوامل الجغرافية البشرية التي ساهمت في إنتشار الإسلام في شرق أفريقيا:

أولاً: بساطة تعاليم الإسلام:

كان من أهمِّ أسباب انتشار الإسلام عَبْر ربوع أفريقيا بساطة تعاليمه، وسهولة فَهْمه، ويُسْرُ الدعوة إليه، فكلُّ مسلم يُعْتَبَر داعية، فلا توجد تعقيدات كهنوتية

---

24 الغنيمي، المصدر السابق، ص71

كما في المسيحية، وما يكتنفها من غموض، مما يجعلها صعبة الفَهم بالنسبة للأفريقي، وعلى العكس يَسَّرَت تعاليمُ الإسلام وسُمُوِّها بالبَشَر ومساواتها بين الناس، سهلت مهمَّة الدعوة للإسلام، وأيضًا مما ساعد على إنتشار الإسلام عدالته ومساواته بين الناس، وبغضه للتفرقة العنصرية، وهي عُقْدَة الأفارقة، حيث مارسها بعضهم، ويمارسون جميع ألوانها في جنوب أفريقيا تحت ظلال المسيحية، مما يجعل الأخوة في كنف التنصير ليست إلا أكذوبة، لَمَسَها الأفريقي واقتنع بها[25].

ولقد كان قمة الدور الذي لعبته الحضارة الإسلامية في مجال نشر الإسلام تتمثل في التأثيرات الحضارية المرافقة للنشاط الاقتصادي للمسلمين في شرقي أفريقيا، ويعتبر القرن التاسع عشر قمة الدور الحضاري الذي أسهم به العمانيون والمسلمون عامة، ومرحلة مهمة من مراحل إنتشار الإسلام ليس فقط في مناطق أفريقيا الساحلية، بل شقت الدعوة الإسلامية طريقها إلى البر الأفريقي، نتيجة للدور الطليعي للتجار المسلمين خاصة في عهد السيد سعيد بن سلطان لاسيما بعد أن أتخذ من زنجبار مركزا للحكم العماني في شرق أفريقيا. ولأول مرة في عهده أشرق نور الإسلام في المناطق الداخلية للبر الإفريقي مثل: أوغندا، وأعالي نهر الكونغو ،ورواند ،وبروندي، وتنجانيقا، إضافة إلى نياسا، وموزمبيق[26].

ثانياً: السكان:

تعد القارة الأفريقية الأكبر من حيث تركز المسلمين بها، إذ يصل عدد المسلمين إلى إجمالي عدد السكان إلى النصف، وتعتبر أفريقيا من القارات التي يتزايد بها عدد المسلمين بصورة مضطردة[27]، حيث تزايد عدد المسلمين بها في فترة عشرين سنة إلى الضعف، ويقدر عدد المسلمين عام 1930م بنحو أربعين مليون نسمة، ثم

---

[25] راضي، نوال عبد العزيز. الإسلام والمسلمون في وسط إفريقيا. القاهرة: دار الفكر العربي، 2006م. ص16.

[26] أبو علية، عبد الفتاح حسن. أضواء على جوانب من التأثير الحضاري العماني على شرقي أفريقيا. مجلة الدرعية، السنة الأولى، العددان السادس والسابع، المملكة العربية السعودية: نوفمبر 1999م. ص245.

[27] مجاهد، حورية توفيق. الإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2002م.ص 23

في عام 1951م قدر بنحو 85-90 مليون نسمة، وتلك زيادة مضطردة تزيد عن معدل النمو الطبيعي الذي يبلغ (2,5 ٪) حيث أن هذه النسبة وصلت إلى (6,7 ٪) وهو يزيد عن ضعف متوسط النمو في أفريقيا [28].

عندما تولى المسلمون حكم أفريقيا فإن هذا الحكم تميز بالأصالة خلال عهود طويلة متقادمة.

ثالثاً: الهجرة من جنوب الجزيرة العربية إلى شرق أفريقيا:

من الجدير بالذكر أن المدَّ الإسلاميَّ الوافد إلى ساحل شرق أفريقيا في ركاب الهجرات الإسلامية القادمة من جنوب الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي لم يتوقف على مرِّ السنين، وبناءاً على ذلك تأسَّست مدن إسلامية مزدهرة على الساحل صارت بيئة صالحة لانتشار الإسلام بين الأفارقة من ناحية، وتغَلُّب مظاهر الثقافة العربية الإسلامية عليهم من ناحية أخرى.

ونلْمَسُ ذلك بوضوح في دولة الزنج التي ظهرت في الساحل في القرن العاشر الميلادي، وظلَّت باقية حتى أوائل القرن السادس عشر، رغم القلاقل والانقسامات التي تنازعتها، فقد شيَّدت تلك الدولة عدَّة مدن إسلامية، وأقامت المساجد في كل مدينة، حيث عَرَف الكثيرُ من القبائل الطريقَ إليها، وفي هذا المظهر الديني يتوفَّر الدليل القاطع على أن كثيرًا من الأفارقة قد تحوَّلوا إلى الإسلام.

والحقُّ أنه من المبالغة أن نقول إن الوثنية اختفت تمامًا من المدن الساحلية، حيث ما زالت تعتنقها عدَّة قبائل، وإن كان لا يمكن أن نقارنها بمراكز الوثنية في مناطق الأدغال في غرب ووسط وجنوب القارة الإفريقية، ولكن هذا لا يُقَلِّل من الدور الذي قامت به دولة الزنج في الدعوة إلى الإسلام، وقد كان بوُسع تلك الدول أو العرب المسلمين المقيمين على طول الساحل أن يَصْبُغوا الأفارقة كلَّهم بطابع الإسلام لو لم تقتحم أساطيل الغزو البرتغالي في أوائل القرن السادسَ عشرَ مياه

[28] Kritzeck & Lewis. Cit. Op Modern Islamic literature from 1800 to the present. New York, N.Y. : Holt, Rinehart. Winston, 1970, p63 &

هذا الساحل، الأمرُ الذي أعاق مسيرة المدِّ الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية قُرَابة قرنين ونصف، وهي حِقبة طويلة[29]؛ لتبدأ أفريقيا عهدًا جديدًا، وهو عهد الاستعمار الأوربي البغيض، الذي نهب خيراتها، وأذاقها الويلات.

وقد ساعدت الهجرات إلى أفريقيا على ازدهار المدن الساحلية وأصبحت هناك مدن متناثرة على طول الساحل الأفريقي كمقديشو، وممباسا، ومالندي، وبمبا، وزنجبار، وكلوة، كل هذه المدن تجمع بين السكان الأفارقة إضافة إلى العرب الوافدين القادمين بديانتهم ودعاتهم، سواء من الساحل العُماني أم غير ذلك من سواحل البلدان المجاورة كما هو عليه الحال لسكان اليمن وحضرموت.

وقد أشار المؤرخ المسعودي إلى دور العُمانيين في القرن الرابع الهجري حيث بيّن اتصالهم ببلاد الحبشة وبحر الزنج وصولا إلى جزيرة قنبلو (مدغشقر حاليا). وقال: إنّ «هؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عُمان عرب من الأزد»[30].

كما يشير ابن بطوطة الرحالة المشهور إلى رحلة بحرية حملته من جزيرة كلوة إلى ظفار، وذلك حوالي عام 731هـ[31].

ونعود للمؤرخ المسعودي الذي ركب هذا الخطّ البحري بنفسه من جزيرة مدغشقر إلى عُمان عام 304هـ[32] حيث تحدث عن وجود ربابنة عُمانيين.

كما وصف المسعودي «سفالة» (موزنبيق) فقال: هي أقاصي بلاد الزنج، وإليها تقصد مراكب العُمانيين[33].

ويبدو أن تجارةً نشطت بين الساحل الأفريقيّ وعُمان، وأن عُمان كانت معبرًا لتصدير عاج الفِيَلَة إلى الهند والصين[34].

---

29 الحويري، المرجع السابق. ص 41-42

30 المسعودي، المصدر السابق، جـ 2، ص 107

31 ابن بطوطة، المصدر السابق ،ص 6

32 المسعودي، المصدر نفسه، ص108

33 المسعودي، المصدر نفسه، ص 6

34 العاني، عبد الرحمن عبد الكريم. تاريخ عُمان في العصور الإسلامية الأولى. لندن: دار الحكمة، 1999م، ص198.

إن اتصال المسلمين المبكر مع الساحل الأفريقي قد ساعد على وجود هجرة منتظمة للمسلمين من جزيرة العرب، وقد اتخذ بعضها خيار الهجرة إما لدوافع سياسية أو لدوافع تجارية، وهو الأمر الذي ساعد على وجود مجتمعات عربية على طول الساحل الأفريقي.

ويتحدث المؤرخون عن استيطان قبيلة الحرث في مقديشو بين عامي 291 و 301 هـ حيث أسست هذه القبيلة دولة خاصة بها استمرت في حكمها حتى قدوم البرتغاليين[35]. ونظرا لطول مدة حكم هذه الأسرة فقد بذلت جهدها في تعريب الكثير من القبائل الصومالية، وخاصة الساحلية التي دخلت الإسلام على أيديهم[36] وعليه فتكون هذه الهجرة تالية لهجرة الأسرة من آل الجلندى إلى «لامو» بـ«كينيا».

وقد أشارت كتب التاريخ إلى هجرة لقبيلة عُمانية أخرى هي قبيلة النباهنة في أوائل القرن السابع الهجري إذ أقامت تلك القبيلة سلطنة إسلامية لها في «بات» ظلت موجودة حتى عام 1861م[37].

ويبدو أن قبيلة النباهنة في «بات» في أرخبيل «لامو» (كينيا حاليا) قد جاءت متزامنة مع حكم هذه الأسرة لعُمان خلال الفترة من عام 500هـ وحتى قيام دولة اليعاربة أي عام 1024هـ.

ويشير بعض المؤرخين إلى أن قدوم الأمير سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني إلى «بات»، هو بداية هذه الدولة النبهانية عام 599هـ حيث تزوج هذا الأمير بأميرة سواحلية هي ابنة إسحاق، الحاكم وقتذاك، وعلى أثر هذا الزواج نقل الأمير النبهاني بلاطه من عُمان إلى الساحل الأفريقي الشرقي[38].

---

35 جيان، المسيو. وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية. ترجمة وتلخيص: يوسف طمال، القاهرة: د.ن، 1927م. ص160.

36 عبد الحليم، رجب محمد. العُمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام. مسقط: مطابع النهضة، 1989م، ص220.

37 زكي، عبد الرحمن. الجغرافيون والرحالة، ج 3. القاهرة: معهد الدراسات الإسلامية، 1977م، ص360.

38 حسن، إبراهيم حسن. انتشار الإسلام في القارة الإفريقية.ط2، مكتبة النهضة المصرية، 1984م. ص399.

إن هذا النزوح والاندماج العربي قد تكرر في أكثر من مدينة على طول الساحل الأفريقي كما هو الحال عليه في ممباسا حيث استوطنتها عائلات من قبيلة المناذرة العُمانية وكذلك قبيلة المزاريع حيث تسلسلت الريادة والحاكمية في بعض هذه الأسر إلى عدد من السلاطين والزعماء، فقد وصل عدد الحاكمين من أسرة بني نبهان إلى اثنين وثلاثين سلطانا حتى عام 911هـ أي مع وقت قدوم البرتغاليين[39].

فبعد أن تم تطهير الساحل العُماني من الوجود البرتغالي زادت الهجرة من عمان ومن جنوب الجزيرة العربية من جديد إلى الساحل الأفريقي، واتسع مدى الاتصال البحري تجاريا واجتماعيا بين الجانبين حتى اقتضت الحاجة نشوء دولة عُمانية على الساحل الأفريقي كانت مركزا للإشعاع الحضاري والإسلامي والعربي واستمر لعصور طويلة.

ويعد حكم السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي 1804_1856م تحولا بارزا في سماء العلاقات العُمانية الأفريقية، فقد حول عاصمة ملكه من مسقط إلى زنجبار، وبدءا من عام 1832م أصبحت زنجبار عاصمة الإمبراطورية العُمانية، وقد أدى ذلك إلى انتقال طائفة من العُمانيين إلى شرق أفريقيا[40].

رابعاً: إستيطان المسلمون في شرق أفريقيا:

ليس خافيا على أحد الأثر الذي أحدثه نشر الإسلام على الساحل الأفريقي وكيف كان ذلك بفعل الاستيطان السكاني واندماج هؤلاء المهاجرون مع السكان الأصليين فكان أن نقلوا ثقافتهم ولغتهم، إضافة إلى عقيدتهم الإسلامية إلى غيرهم من الأفارقة.

ولم يكن أمر نشر الإسلام ليمر دون تضحيات ومصاعب تصدى لها هؤلاء الوافدون، لكن الإصرار والعزيمة كانا من عوامل النجاح فأمكن للإسلام أن

---

39 عبد الحليم، المرجع نفسه، ص 273

40 الخليلي، أحمد بن حمد. العُمانيون وأثرهم في الجوانب العلمية والمعرفية بشرق إفريقيا. مسقط: المنتدى الأدبي، وزارة التراث القومي، 1992م.ص181.

يرفع رايته، ويعلو صوت آذانه، وتخشع لقرآنه قلوب المؤمنين في جزر الساحل والأراضي المتاخمة لها.

إن العرب هم أوّل من اكتشف أفريقيا وجاس خلالها إلى حوض نهر الكونغو، وهم الذين أخبروا عن البحيرات والجبال المعممة رؤوسها بالثلوج على الرغم من مشاق الأسفار، وعلى الرغم من وحشية الأهالي الذين يأكل بعضهم بعضا. وقد توغلوا في الغابات المظلمة وسط الضباع الضارية مخاطرين بأرواحهم وأموالهم. كما ثبت أن الأوروبيين اعتمدوا على عرب شرق أفريقيا في ارتياد مجاهل القارة الأفريقية ومداخلها[41].

حقا لقد كانت التضحيات المبذولة عظيمة، ولكن الإنجاز كان أعظم إذ تسنى لنور الإسلام أن يضيء سناه هذا الجزء الهام من القارة الأفريقية.

وقد شهد لنتائج تحول الساحل الأفريقي إلى الإسلام ابن بطوطة عندما زار هذا الساحل عام 731هـ، فقرر أن كل الناس الذين رآهم في المدن التي زارها كانوا مسلمين[42].

ولعلنا نتعرض إلى دورهم في نشر الإسلام من ناحيتين:

الناحية الأولى من دور الدعـاة في نشر الإسلام:

لربما يحاول البعض تشويه صورة العرب والمسلمين في دخولهم لأفريقيا، وحصر هذه الصورة في قضايا الرق والاستعباد واستغلال الأرض، دون الإشارة إلى هدف حقيقي هام يعول عليه، ولا غرابة في أن يصدر هذا القول من أعداء الإسلام الذين هالهم ما وصل إليه الدين الإسلامي في شرق القارة من تمكن ونفوذ.

---

41 المغيري، سعيد بن علي. جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ط.4 . مسقط: وزارة التراث القومي، 2001م.ص 247.

42 السهيل، نايف عيد جابر. الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين. ط.2، مسقط: مكتبة الاستقامة، 1998م، ص196.

إن العرب المسلمين الداخلين إلى البلاد الأفريقية وإن كان منهم الذي تدفعه روح المغامرة للكسب والغنى، إلا أن انتماءهم العقدي لدينهم الإسلامي هو الذي تحكم في حركتهم وتجولاتهم، وندلل على ذلك بالقصة التي يوردها الكاتب جراي عن الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري التاجر العُماني الذي وصل من زنجبار إلى بلاط الملك (سنا) بمملكة يوغندا عام 1260هـ/1843م، حيث أبدى هذا الشيخ شجاعة فائقة في بلاط الملك كانت سببا في إسلام أهل أوغندا[43].

فقد جرت العادة وفق الطقوس التي يعتنقها أهل يوغندا آنذاك وعلى رأسهم «الكباكا» (الملك)، تقديم عدد من الرعايا الأبرياء كقرابين للآلهة؛ وذلك بذبحهم وسفك دمائهم، فما كان الشيخ أحمد ـ وقد وفد على «الكباكا» في يوم مشهود لتقديم هؤلاء القرابين ــ إلا أنه وقف متحديا «الكباكا»، وذلك وسط دهشة المشاهدين مخاطبا ومعاتبا له قائلا: «مولاي إنّ هؤلاء الرعايا الذين تسفك دماءهم كل يوم بغير حق إنما هم مخلوقات الله ــ سبحانه وتعالى ــ الذي خلقك وأنعم عليك بهذه المملكة». وقد كرّر الشيخ ذكر قدرة الله خالق الكون، وأنه الواحد الأحد... ورويدا رويدا انفتح عقلُ «الكباكا» وقلبه لكلام الشيخ إذ أقنعه بالدين الجديد الذي جاء يحمل مبادئه.[44]

وقد أسفرت صحبة الشيخ للكباكا عن تعلم الأخير لأربعة أشياء من القرآن الكريم، وكذلك مبادئ الدين الإسلامي قبل وفاة الكباكا عام 1237هـ/ 1856م، وبهذه الخطوة انفتح الباب على مصراعيه للإسلام فانتشر في أوغندا والمناطق المجاورة لها[45].

هذه القصة التي جرت مع حاكم أوغندا لم تكن الوحيدة التي سطرها التاريخ، بل هنالك حوادث أخرى تدل على دور الدعاة في نشر الإسلام. وقد أخبرني غير واحد من القادمين من شرق أفريقيا ـ الذين نشأ عدد من العاملين الأفارقة الوثنيين

---

43 جيان، المصدر السابق، ص320.

44 وردت هذه الرواية أيضا لدى سعيد بن علي المغيري في جهينة الأخبار، ص 174

45 صغيرون، إبراهيم الزين. الإسهام العُماني في المجالات الثقافية والفكرية والكشف عن مجاهل القارة الإفريقية في العهد البوسعيدي. مسسقط: المنتدى الأدبي، 1993م.ص 197

في مزارع آبائهم ــ عن دور الدعاة في نشر الإسلام بين هؤلاء المزارعين من خلال تعليمهم مبادئ الدين الإسلامي وكذلك تسميتهم وتنشئتهم وتزويجهم على أسس الإسلام وتعاليمه.

كما عمل الدعاة المسلمون على مقاومة نشاط الجمعيات الكنسية وعارضوا حركة الإرساليات. ومن الأسماء التي ترددت في وثائق الكنيسة أسماء عُمانيين قاوموا هذا النشاط كمثل الشيخ سليمان بن زاهر الجابري، وهو من سكان يوغندا المقربين للسلطان برغش بن سعيد سلطان زنجبار، كما جرى ذكر عدد آخر من التجار العُمانيين الذين تصدوا لحركة الكنيسة في تنصير الساكنين الأفارقة[46].

خامساً: كثافة السكان:

لقد تركز الإسلام في أفريقيا في بادئ الأمر في الجزء الشرقي منها، وذلك لعدة أسباب منها قربها من الجزيرة العربية وسهولة الاحتكاك مع سكان الجزيرة العربية، وأيضا لأن الكثير من الهجرات خرجت من الجزيرة العربية بإتجاه شرق أفريقيا، خاصة أن هذه الهجرات تعود إلى فترات مبكرة من ظهور الإسلام عندما سمح الرسول (صل اللّه عليه وسلم) لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة.[47]

حيث تركز الإسلام في البداية في الصومال وزنجبار، وعلى طول الساحل الشرقي لقارة أفريقيا، هذا على الرغم من وجود أثيوبيا المسيحية التي وقفت في وجه إكمال حلقة إنتشار الإسلام في أفريقيا، حتى أن البرتغاليين كان من أهدافهم في الدوران حول قارة أفريقيا هو الوصول إلى أثيوبيا المسيحية[48].

---

46 إبراهيم صغيرون، المرجع السابق، ص198

47 الفيتوري، عطية مخزوم. دراسة في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء. منشورات جامع قان يونس، الطبعة: الأولى، بنغازي: 1998م، ص 98

48 مجاهد، حورية توفيق. قراءات أفريقية. مجلة متخصصة في شؤون القارة الأفريقية، العد: السادس، سبتمبر: 2010م، ص 18

سادساً: التجارة

تعد التجارة من المهن التي امتهنها الإنسان منذ قديم الأزمان، وقد مارسها الإنسان في بداية حياته على نطاق بسيط داخل إقليم محدد، لكن مع تطور الإنسان وأتساع أفقه نحو الأقاليم المجاورة بدأ يمارس هذه التجارة على نطاق أوسع، وكانت التجارة في بدايتها تعتمد على الإنسان أو الدواب ثم تطور بعد ذلك ليستخدم السفن، وقد جاءت هجرات العرب المسلمين من جنوب الجزيرة العربية من عمان واليمن متوافقة مع الواجب الديني في نشر الإسلام، وقد وجدها المسلمون فرصة سانحة لتحقيق غاية نبيلة وهدف سامي في تبليغ هذه الدعوة وممارسة حرفة يعيش عليها، وقد لعبت التجارة دور كبير في كثير من الهجرات، إذ أن سكان الجزيرة العربية تجار في المقام الأول ولهم خبرة وباع طويل في التجارة وارتياد البحر.

لقد كان العرب يقومون بالتجارة قبل الإسلام وحتى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، حيث ازدادت التجارة بعد ظهور الإسلام ازدياداً كبيراً وتأسست عدد من المدن على طول الساحل امتداداً من مدن الصومال شمالاً (سفالة) حتى موزمبيق جنوباً، ولم يتوغل العرب في بادئ الأمر في المناطق الداخلية بل أقاموا في المناطق الساحلية، وتاجروا بسلام مع سكان المناطق الداخلية الذين أحضروا سلعهم إلى مدن الساحل بغرض التبادل التجاري[49].

وقد دخل الإسلام الصومال وكينيا وتنجانيقا بفضل نشاط وجهود التجار العمانيين والحضارمة، وأصبح هؤلاء التجار في مراحل لاحقة حلقة الوصل بين أفريقيا والجزيرة العربية[50]، لقد كان التجار والإسلام عنصران لا ينفصلان على الدوام وقد عبر برمنجهام عن ذلك في قوله: «إن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير»[51] ويمكن القول أن الإسلام دخل وأنتشر في شرق أفريقيا مقتفياً

---

49 أرسلان، شكيب. حاضر العالم الإسلامي. القاهرة: مطبعة الحلبي، 1932م، ص 71-72

50 شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. الجزء السادس، ط. 14، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1983م، ص 207

51 Spencer Trimingham. *A History of Islam in West Africa*. London: Oxford University Press 1962.p31

طرق القوافل التي وجدت حتى قبل ظهور الإسلام[52].

وكانت هذه الطرق تقع تحت سيطرة عرب عمان وعلى طول الطرق التجارية كان كل التجار العرب يتاجرون ذهابا وإيابا/ فيما استقر صغار التجار في داخل أفريقيا ونتج عن ذلك تزايد أعداد العرب القادمين من الساحل بقصد التجارة في كثير من المقاطعات الأفريقية. ومن الملاحظ أن رواد حركة الكشوف الجغرافية الأوربية أمثال برتون وسبيك ولفنجستون استعانوا بخبرة العرب فسلكوا نفس الطرق التجارية التي كانت تسلكها القوافل العربية[53].

لقد تميز التجار المسلمون بسمات خاصة، جعلتهم الشغل الشاغل، وأثارت الفضول لدى السكان المحليين عن الإسلام، من هذه السمات ما يتعلق بالمظهر الخارجي للتاجر، حيث الملابس الفضفاضة وغطاء الرأس المميز، إلى جانب تطهرهم ووضوئهم على مدار اليوم، أما السمات الأخرى فتتعلق بأخلاقيات التاجر مثل الأمانة والصدق وحسن التعامل في البيع والشراء، إضافة إلى حسن أدائهم للعبادات من صلاة وصوم وزكاة[54].

لقد أنتشر الإسلام بين الشعوب الأفريقية بصورة تسترعي الانتباه، فالإسلام دين عالمي ومهمة توصيله وتبليغه لا تقع على فئة معينة مثل ما هو الحال عند الديانة المسيحية التي تقوم في عملية نشرها على التبشير والمبشرين، فكل فرد في الإسلام عليه مهمة تبليغ الإسلام في أي حرفة كان أو صناعه، وأيا كان وضعه، فلم ينتشر الإسلام على فئة ذات تنظيم من دولها كما هو الحال عند المسيحية التي انتشرت بناءاً على جهود الدول الأوروبية الاستعمارية.

لقد تنوعت الدعوة الإسلامية وتنوع الدعاة، وهنا يجب التنويه أن الدعوة الإسلامية

---

52 توماس، أرنولد. بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية. ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن، ط2، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1957م، ص 73-75

53 عبد الرسول، كوثر. دراسات في الهجرات الحديثة إلى أفريقيا العرب في شرق أفريقيا، مج 13. جامعة شمس: حوليات كلية الآداب، 1973م، ص265

54 لتوضيح أكثر حول دور مدى إنجذاب الأفريقيين للتجار المسلمين أنظر الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، الإسلام في نيجيريا، الطبعة: الثانية، 1971م، ص: 40-41

حملها في البداية التجار العرب، ثم ما لبث أن قام بهذا الدور السكان المحليين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة نشر الدين الإسلامي.

ومن أهم رسل الدعوة، التجار، ورجال الطرق الصوفية، والأئمة والوعاظ من دارسي الأزهر، والجماعات في شرق أفريقيا، والمراكز الثقافية في شرق القارة.

إن الدعوة وإن بدأت على أيدي التجار العرب في الشرق إلا أن الدور ما لبث أن حملته الشعوب الزنجية بأنفسها، وهنا نود أن نؤكد على نقطة غاية في الأهمية وهي أن الإسلام أنتشر سلميا وليس بحد السيف، وقد أسهمت الفتوحات الإسلامية والجهاد الإسلامي في نشر الإسلام نظرا لنشر الأمن وتأمين طرق المواصلات.

انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في منطقة الساحل وبين السكان على اختلاف عناصرهم بالعلوم الدينية واللغة العربية، فمِن «كلوة»[55] سافر طلاب العلم إلى شبه الجزيرة العربية ليَنْهَلُوا من علوم المعرفة، وكان مِن بينهم الأمراء، فقد تَنَقَّل السلطان أبو المواهب (1308م- 1334م) قبل إرتقائه عرش السلطنة في «كلوة» بين عدن ومكة لطلب العلم، وكان قد وصل إلى مكة وهو لم يزل في الرابعة عشرة من عمره، وممَّا يُؤَكِّد شدَّة حاجة سكان الساحل إلى تحصيل العلوم العربية ما رواه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز الميورقي (ت 474هـ)، الذي زار البصرة في سنة 469هـ/ 1076م، إذ رَكِبَ من عمان إلى «بلاد الزنج»، وكان معه من العلوم أشياء فما نَفَق عندهم إلا النحو، وقال: لو أردت أن أكسب منهم ألوفًا لأمكن ذلك، وقد حصل لي منهم نحو ألف دينار، وتأسَّفوا على خروجي من عندهم[56].

كما إنتشر الإسلام عن طريق قوافل التجار العمانيين القادمين من زنجبار والمدن الساحلية الأخرى، ويطلق عليهم في المصادر المحلية والأجنبية لقب (الزنجباريين) وقد كان ذلك قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك عن طريق التسرب السلمي بدعوة قامت على الإقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا إلا إيمانهم العميق.

---

55 مدينة تقع في تنزانيا حاليا

56 الحويري: المرجع السابق. ص: 44. وانظر أيضاً: ياقوت الحموي: معجم البلدان. جـ: 5، ص: 247

وتتفق المصادر المحلية والأوروبية بأن هؤلاء التجار المسلمون ورحلاتهم التجارية وما يتم فيها من تبادل للمنافع والسلع كان يصحبه دائما تبادل في الأفكار والآراء مما أفسح المجال لإنتشار الإسلام في تلك المناطق من شرق أفريقيا، وتعتبر بقصة الشيخ إبراهيم العامري نموذج لعمل الدعاة المسلمون في تلك المناطق، حيث أنه بعد هذه الحادثة تمهدت الطريق لانتشار الإسلام في بقية الأصقاع من القارة[57].

سابعاً: دور الدعاة:

الإسلام دين عالمي، وواجب تبليغه لا ينحصر في فئة دون أخرى، لذا كان على كل مسلم مسؤولية تبليغ هذا الدين، وفي غالب الأحيان كان هؤلاء الدعاة يمتهنون التجارة إلى جانب الدعوة، حيث أوصلتهم تجارتهم إلى مناطق داخلية في أفريقيا، ولعل في قصة الشيخ إبراهيم بن أحمد العامري خير دليل، حيث تشير المصادر إلى أن الشيخ إبراهيم من أوائل التجار المسلمين الذي وصلوا إلى مملكة الملك سنا، وقد وضح ذلك من مذكرات أمين باشا التي أورد فيها بأن الشيخ أحمد أخبره بأن أول زيارة له لأوغندا قد تمت في عام 1260هـ / 1843م [58].

ثامناً: تركيب السكان:

إن تركيبة المجتمع الأفريقي الذي يقوم على أساس أن الفرد عضوا في قبيلة، وهذه القبيلة محكومة بشيخها، الذي تعتبر أوامره لا رجعة فيه، وبالتالي فإن دخول شيخ القبيلة الإسلام يعني دخول كافة القبيلة الإسلام، فالدعوة الإسلامية لم تقم على أساس فردي ولكن قامت على أساس جماعي بالدرجة الأولى، وبالتالي كان من المألوف أن تدخل القبيلة كلها في الإسلام بعد الإنجذاب إليه والإعتقاد في مبادئه[59].

---

57 صغيرون، إبراهيم الزين. مصادر تاريخ الإسلام في أوغندا. جامعة الرياض: مجلة كلية الآداب، مج 6، 1979م. ص22

58 John Gray "Emin Diaries" Ext.1, Uganda Journal,vol.25 No.1, (1961) entry for august 11, (1876) p.10.

59 حورية توفيق. الإسلام في إفريقيا. ص 52

إن الإسلام دين التدرج، ومما شجع الأفريقي على الدخول في الإسلام أنه بعد دخوله الإسلام لا ينفصل عن مجتمعه، بل مثل الإنتماء للإسلام جزءا من الأصالة الأفريقية، ولم يتبع الدخول في الإسلام الشعور بالإغتراب بل على العكس تبعه تأكيد الذات الأفريقية من خلال تقديم الحل المنطقي لعدد من الممارسات كالرقص والإيمان بالأرواح والسحر وتعدد الزوجات، مما سمح للأفريقي بالإحتفاظ بشخصيته الأفريقية مع الإنتماء للدين العالمي الشامل[60].

تاسعاً: الثقافة:

الطابع العربي الإسلامي يتميز بالأصالة، والإنفتاح على الغير، وعندما جاء الإسلام لم يلغي كل ما هو سائد بل قام بتبني العادات الحميدة وألغى ما يتعارض مع قيم الإسلام، وهذا الحال هو ما حدث عندما توجه العرب المسلمون إلى شرق أفريقيا، فقد الغوا الكثير من العادات السائدة والتي كان غالبية عظمى منها لا تتفق ومبادئ الإسلام.

إن طبيعة الرجل الإفريقي البسيطة كان من أهمِّ أسباب انتشار الإسلام عَبْر ربوع أفريقيا وأيضا بساطة تعاليمه، وسهولة فَهْمه، ويُسْرُ الدعوة إليه، فكلُّ مسلم يُعْتَبَر داعية، فلا توجد تعقيدات كهنوتية كما في المسيحية، وما يكتنفها من غموض، مما يجعلها صعبة الفَهم بالنسبة للإفريقي، وعلى العكس يَسَّرَت تعاليمُ الإسلام وسُمُوِّها بالبَشَر ومساواتها بين الناس، سهلت مهمَّة الدعوة للإسلام، وأيضًا مما ساعد على انتشار الإسلام عدالته ومساواته بين الناس، وبغضه للتفرقة العنصرية، وهي عُقْدَة الأفارقة، حيث مارسها بعضهم، ويمارسون جميع ألوانها في جنوب أفريقيا تحت ظلال المسيحية، مما يجعل الأخوة في كنف التنصير ليست إلا أكذوبة، لَمَسَها الأفريقي واقتنع بها[61].

---

[60] حورية توفيق. المرجع نفسه. ص 49

[61] نوال عبد العزيز. المرجع السابق. ص 16

عاشراً: العقيدة الدينية:

لقد لعبت الديانة المسيحية وعمليات التبشير دوراً كبيرا في إنتشار الإسلام على الرغم مما يبذل على الدين المسيحي بغية نشره، فعوامل الطرد في المسيحية عملت نفسها كعوامل جذب للإسلام، فعقيدة الوحدانية المطلقة أقرب إلى فطرة الأفريقي وإلى ذهنه من العقيدة المركبة التي تقوم عليها المسيحية، حيث أنه يقال عنها أنها صعبة الفهم وفوق العقل[62].

الحادي عشر: العادات والتقاليد:

إن دخول الإسلام والنهضة العلمية والفكرية التي أحدثتها هجرة العرب من العُمانيين والحضارمة إلى الساحل الأفريقي قد أثر أيما تأثير في الثقافة الأفريقية السائدة، فاصطبغت وانطبعت بالطابع الذي حمله هؤلاء الوافدون، فغدا أثرها واضحا على عاداتهم وتقاليدهم وكذلك فنون العمران والملابس والأزياء.

وقد زاد في ذلك الانصهار والاندماج بين العرب والأفارقة، سواء بالمجاورة أم الزواج، فأوجد نمطا متآلفا من العيش والتقاليد العربية والإسلامية. فالزائر إلى مدن الساحل الأفريقي سوف يلحظ التجانس في الأزياء ذات الجذور العربية والإسلامية بدءا من مقديشو وإنتهاء بجزر القمر، بل إنه وحتى بعد أن غير الاستعمار الأوروبي هذا الملمح سوف يجده القادم متمثلا في المناسبات واللقاءات ذات الطابع الإسلامي.

فيوم الجمعة يؤدي المصلون صلاتهم وقد اتشح غالبيتهم بالأثواب العربية التي تحاكي الثوب العربي المستخدم في عُمان، وكذلك القبعة التي توضع على الرأس، بل إنه في مناسبات الزواج وعقد القرآن لن تفاجأ إذا رأيت العريس وقد تقلد سيفا، عربيا وتمنطق خنجرا عربيا، ثم لف على رأسه العمامة الذي تذكر بعرب شمال البحر.

كذلك هو الشأن بالنسبة لزي المرأة الأفريقية التي أخذت طابعا من ملابس المرأة

---

[62] حورية توفيق. الإسلام في إفريقيا، ص 48

العربية، ولنستمع إلى وصف تاريخي يسوقه صاحب كتاب «جهينة الأخبار» عن زي المرأة قائلا: «وأما لباس المرأة في ذلك الزمن، فخمارٌ على رأسها، وقميصٌ وسراويل، وشيلةٌ تعمُّ سائرَ جسدها، وجواربٌ وحُقٌّ»، وهو يشير إلى زمن السلطنة العُمانية قبل السيطرة الاستعمارية وقبل دخول العادات الغريبة التي جلبها الأوروبيون.[63]

امتد هذا التأثير أيضا إلى العادات والآداب بدءا من الاستقبال والترحيب إلى القيام بواجبات الضيافة الأخرى. وقد نتج كل هذا بفعل التعايش والاندماج بين العرب الوافدين والسكان المحليين.

أما فيما يتعلق بالعمارة الإسلامية فتجدها ماثلة للعيان في معظم مدن الساحل الأفريقي وبصفة خاصة في المساجد والقلاع والبيوت القديمة حيث هي تنبئ عن هويتها العربية.

وعلى سبيل المثال لا تزال هناك آثار وشواهد دالة على هذه الآثار العمرانية كما هو حال الرسم بالمسجد الموجود ببلدة شوكة في الجزيرة الخضراء، حيث يبدو جليا الرسم الذي هو على شكل خنجر عربي في المحراب القديم لهذا المسجد، ويعود تاريخ هذا المحراب إلى سنة 812هـ/1412م[64].

المسالك التي أنتشر الإسلام عن طريقها في أفريقيا:

بما أننا نتناول الجانب الجغرافي لإنتشار الإسلام في أفريقيا فيمكن تحديد المداخل التي دخل بها الإسلام إلى شرق أفريقيا بمدخلين رئيسيين هما:

1. المدخل البحري عن طريق الجبهة البحرية المطلة على المحيط الهندي من الشرق

2. المدخل الشمالي ويمكن تقسيمه إلى قسمين المدخل الشمالي الشرقي من اليمن إلى الحبشة والصومال المدخل الشمالي من السودان إلى أوغندا

---

63 المغيري، جهينة الأخبار. ص 544

64 الطيواني، سالم بن أحمد. زنجبار منذ دخول الإسلام حتى قيام اليعاربة، مخطوط بمكتبة معهد العلوم الشرعية، سلطنة عُمان، 2000م، ص122.

المدخل البحري من الشرق فقد اتخذه العرب أولا ثم الهنود في القرن الأخير، وهذا المدخل توغلوا عن طريقه إلى المناطق الداخلية.

ويمتاز هذا المدخل بعدة مميزات طبيعية ساعدت على نزول العرب على شواطئه ثم توغلوا نحو الداخل من هذه المميزات وجود كثير من الخلجان التي يمكن اتخاذها أماكن صالحة لقيام الموانئ، كما تكثر الجزر المرجانية القريبة من الشاطئ وهي التي أتخذها العرب المسلمين الأوائل الذين نزلوا شرق أفريقيا نقط ارتكاز واستقرار مبدئية لما كانت توفرهم لهم من حماية ضد غارات القبائل الموانئ.

لذا فقد كان المدخل البحري الشرقي هو المدخل الرئيسي الذي دخل منه الإسلام والمسلمين إلى شرق أفريقيا ومن هذا النطاق الإسلامي الممتد بحذاء الساحل امتد النفوذ الإسلامي بواسطة التجار العرب إلى الداخل

الخاتمة

لقد ساهمت عوامل عديدة في عملية نشر الإسلام في شرق أفريقيا، هذا الجزء من القارة الأفريقية الذي كان له السبق مقارنة بمناطق وأصقاع مختلفة في الدخول في الإسلام نتيجة لظروف طبيعية وبشرية متنوعة.

لقد كان للدور الريادي الذي قام به المسلمون الأوائل أكبر الأثر في عملية نشر الإسلام في هذا الجزء من القارة، حيث تحملت هذه الطلائع العبء الأكبر من عملية نشر الإسلام في ذلك الجزء.

وعلى الرغم من وجود الكثير من العوامل الطبيعية والبشرية التي ساهمت في عملية إنتشار الإسلام في ذلك الجزء إلا أنه يجب ألا نغفل أو ننسى الدور الذي قام به الكثير من العرب المسلمين في التوغل في داخل القارة حاملين راية الإسلام جنبا إلى جنب مع الإسلام.

وعندما وصلت الإرساليات التبشيرية وجدت نفسها أنها متأخرة حيث كان الإسلام يغطي أغلب مناطق الجزء الشرقي من أفريقيا.

إن دخول الرجل الإفريقي في الإسلام نابعا من حبه لهذا الدين الذي رفع من شأنه

وكرمه كما قام بتغيير المنهج العقلي والتفكيري لهذا الإنسان في كثير من المعتقدات والعادات.

أضف إلى ذلك أن حسن المعاملة التي مارسها التجار المسلمون كانت سببا في حب هذا الدين ودافعا للإفريقي في الدخول في الإسلام وهذا تأكيدا للنهج النبوي « إنما الدين المعاملة»

نسأل الله أن نكون وفقنا في تسليط الضوء على العوامل التي ساهمت في نشر الإسلام ولو بالشيء البسيط، إنه تعالى من وراء القصد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملاحق:

ملحق 1: توزيع المسلمين في الدول الأفريقية

توزيع المسلمين في القارة الإفريقية[65]

مجموعة الدول	عدد الدول	نسبة المسلمين لمجموع السكان في الدولة	نسبتهم إلى مجموع المسلمين في إفريقيا
الصحراء الغربية والصومال وليبيا وموريتانيا	4	100	4
المغرب وتونس والسنغال وغينيا وجيبوتي ومصر والنيجر وجاميبيا ومالي والجزائر	10	100 - 90	38
جزر القمر والسودان وتشاد وإريتريا	4	90 - 80	8
نيجيريا وغينيا بيساو	2	80 - 70	19
إثيوبيا وتنزانيا وسيراليون وكوت ديفوار	4	70 - 60	16
أفريقيا الوسطى وتوجو الكاميرون وبوركينا فاسو	4	60 - 50	4
لا يوجد	-	50 - 40	-
أوغندا ومالاوي وغانا وليبيريا	4	40 - 30	4
كينيا وموزمبيق وأنجولا وغينيا الاستوائية وبوروندي ومدغشقر	6	30 - 20	9,4
موروشيوس والكنغو وبنين وزامبيا وزيمبابوي والكنغو	8	20 - 10	2
الديموقراطية وسوايزلاند وليسوتو			
بيتسوانا وناميبيا وجنوب أفريقيا والجابون ورواندا	5	أقل من 10	1,0

65 http://Islamicweb.com/begm/population.htm

ملحق2 : أهم الطرق التي سلكها الإسلام في القارة[66]

خارطة توضح موقع شرق أفريقيا[67]

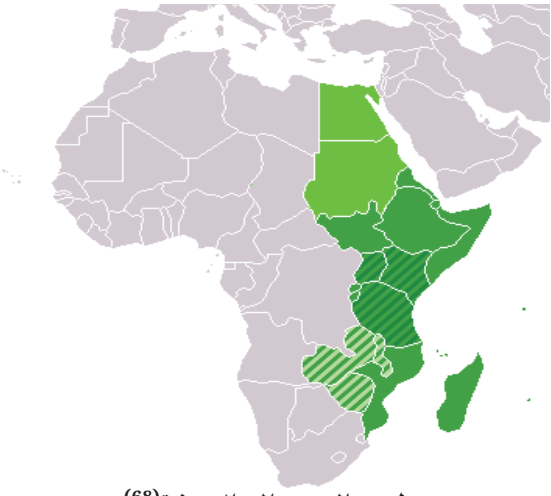

طريق الهجرة إلى الحبشة[68]

---

66 حورية . «تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا ، ص18

67 http://islamstory.com/ar

68 http://islamstory.com/ar

قائمة المصادر والمراجع:

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس. نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. ج2. إيطاليا: طبع روما، 1971م. 4ج.

أرسلان، شكيب. حاضر العالم الإسلامي. القاهرة: مطبعة الحلبي، 1932م.

إسماعيل، أحمد علي. دراسات في جغرافية الإسلام. القاهرة: معهد الدراسات الإسلامية، 1982م.

البطراني، جمعة بن خلفان بن صالح. أثر العمانيين في نشر الثقافة الإسلامية في شرقي أفريقيا خلال عصر دولة البوسعيد 1744 - 1964م. إشراف عبد المنعم محمد البراي، القاهرة: جامعة الأزهر، كلية الدعوة الإسلامية، 2010م.

ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي. تحفة الأنظار في عجائب الأسفار وغرائب الأمصار. قدم له وحققه ووضع فهارسه عبد الهادي الترازي، الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1997م.4 مج.

التاجر، سليمان. وأبي زيد الحسن السيرافي. أخبار الصين والهند. ترجمة يوسف الشاروني، الدار المصرية اللبنانية، 1999م.

توماس، أرنولد. بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية. ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن، ط2، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1957م.

جوزيف، جوان. الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء. ترجمة مختار السويفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1984م.

جيان، المسيو. وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية. ترجمة وتلخيص: يوسف طمال، القاهرة: د. ن، 1927م.

حسن، إبراهيم حسن. انتشار الإسلام في القارة الإفريقية. ط2، مكتبة النهضة المصرية، 1984م.

الحموي، شهاب الدين أو عبد الله ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان. مج:5. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1979م. 8 مج.

عبد الحليم، رجب محمد. العُمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام. مسقط: مطابع النهضة، 1989م.

الحويري. محمود محمد، ساحل شرق أفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي. ط 1، القاهرة: دار المعارف، 1986م.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت272هـ/885م): المسالك والممالك. دار أحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.

الخليلي، أحمد بن حمد. العُمانيون وأثرهم في الجوانب العلمية والمعرفية بشرق إفريقيا. مسقط: المنتدى الأدبي، وزارة التراث القومي، 1992م.

راضي، نوال عبد العزيز. الإسلام والمسلمون في وسط أفريقيا. القاهرة: دار الفكر العربي، 2006م.

زكي، عبد الرحمن. الجغرافيون والرحالة، ج 3 القاهرة: معهد الدراسات الإسلامية، 1977م. 4 ج.

عبد الرسول، كوثر. دراسات في الهجرات الحديثة إلى أفريقيا العرب في شرق أفريقيا، مج 13. جامعة عين شمس: حوليات كلية الآداب، 1973م.

السهيل، نايف عيد جابر. الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع

الهجريين. ط.2، مسقط: مكتبة الاستقامة، 1998م.

شاكر، محمود محمد. التاريخ الإسلامي في شرق أفريقيا. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1997م.

شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. الجزء السادس، ط. 14، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1983م.

الشنتاوي، أحمد. وآخرون. دائرة المعارف الإسلامية. مراجعه محمد مهدي علام. مج7، بيروت: دار المعرفة، 1980م. 15 مجلد.

شويقة، فاروق عبد الجواد. الإسلام والمسلمون في شرق أفريقية (دراسة جغرافية). القاهرة: دن، 1960م.

صغيرون، إبراهيم الزين. الإسهام العُماني في المجالات الثقافية والفكرية والكشف عن مجاهل القارة الأفريقية في العهد البوسعيدي. مسقط: المنتدى الأدبي، 1993م.

ـــــ. مصادر تاريخ الإسلام في أوغندا. جامعة الرياض: مجلة كلية الآداب، مج 6، 1979م.

الطيواني، سالم بن أحمد. زنجبار منذ دخول الإسلام حتى قيام اليعاربة، مخطوط بمكتبة معهد العلوم الشرعية، سلطنة عُمان، 2000م.

العاني، عبد الرحمن عبد الكريم. تاريخ عُمان في العصور الإسلامية الأولى. لندن: دار الحكمة، 1999م.

أبو علية، عبد الفتاح حسن. أضواء على جوانب من التأثير الحضاري العماني على شرقي أفريقيا. مجلة الدرعية، السنة الأولى، العددان السادس والسابع، المملكة العربية السعودية، نوفمبر 1999م.

الغنيمي، عبد الفتاح مقلد. الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا. القاهرة: عالم الكتب، 1998م.

الفيتوري، عطية مخزوم. دراسة في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء. منشورات جامع قان يونس، الطبعة: الأولى، بنغازي: 1998م.

مجاهد، حورية توفيق. الإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2002م.

ـــــ. «تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا». قراءات أفريقية، العد: السادس، سبتمبر: 2010م. 18 ص

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ج1. ط6، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، 1984م.

المغربي، ابن سعيد علي بن موسى. كتاب الجغرافيا. تحقيق إسماعيل العربي، ط.1، بيروت: المكتب التجاري، 1970م.

المغيري، سعيد بن علي. جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ط.4. مسقط: وزارة التراث القومي، 2001م.

يحيى، جلال. العرب في شرق أفريقيا. مجلة النهضة الإفريقية، العدد 3، 1959م.

http://islamstory.com/ar

John Gray 'Emin Diaries' Ext.1 Uganda Journal vol.25 No.1 (1961) entry for august 11 1876.

Kritzeck & Lewis. Cit. Op Modern Islamic literature. from 1800 to the present. New York N.Y.: Holt Rinehart. Winston 1970 &

Spencer Trimingham. A History of Islam in West Africa. London: Oxford University Press 1962.

أثر اللغة العربية على اللغة السواحلية[1]

سالم خميس محمد خميس[2]

ملخص البحث

تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة آثار اللغة العربية على اللغة السواحلية. اتبع البحث المنهج الوصفي والتحليلي والاستقرائي، واستخدم القواميس السواحلية، والعربية، وغيرها من المصادر والمراجع في جمع المعلومات، وذلك من خلال دراسة الأنظمة اللغوية، وهي النظام الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي. توصل البحث إلى أن 26٪ من مفردات اللغة السواحلية مقترضة من اللغة العربية. وأن السواحلية قد اقترضت بعض الكلمات العربية مع وجود ما يقابلها في السواحلية، فصارت مرادفةً لها. ومن نتائج البحث أن بعض الكلمات المقترضة قد استُعملت في السواحلية بالمعنى نفسه الذي يُستعمل به في العربية، في حين أن بعضها الآخر قد استُعملت بمعنى آخر تماما. والمقترضات جمعاء قد توزعت على جميع مجالات الحياة، فمنها مصطلحات دينية، وتجارية، وأخرى سياسية، إلى غير ذلك من مجالات الحياة. ومن النتائج أن السواحلية كُتبت لأول مرة بالحرف العربي. وقد استنتج البحث أن اللغة السواحلية ليست عربية الأصل، وإنما هي بَنتُويّة رغم انتساب اسمها إلى العربية، وكثرة تأثرها بها.

---

[1] ورقة بحثية تم تقديمها في مؤتمر «تاريخ الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا» الذي أقيم في زنجبار – 2013.

[2] الدكتور سالم خميس محمد خميس، رئيس قسم اللغات والترجمة، جامعة المسلمين بمرغرو، تنزانيا.

1. مقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي من رحمته أن خلق الناس مختلفي اللغات، ثم جعل أسبابا تتأثر بها اللغات باللغات، وذلك لفوائد كثيرة منها تكاتُف الحضارات. والصلاة والسلام على خير المخلوقات، سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات، وعلى آله وأصحابه أوسع الرحمات.

أما بعد ...

فإن هذه الورقة البحثية تتناول الموضوع المذكور أعلاه، الموضوع الذي يشتاق إلى نتائجه كثير من الناس. ذلك لأنه قد كُثرت فيه الأقوال، واختلفت فيه العقول. فهناك من يقول إن اللغة السواحلية تأثرت بالعربية بِنيةً ونَظْما، فهي صورة أو لهجة من لهجات العربية. ويوجد من يقول إنها بَنتُوية لكنها تأثرت بالعربية في ألفاظها تأثُراً كبيراً حيث إن أكثر كلماتها عربية. وهنالك من يرى غير ذلك. فما هي حقيقة اللغة السواحلية؟ وإلى أي مدى تأثرت بالعربية؟ إنهما بعضٌ من الأسئلة التي تسعى هذه الورقة البحثية للإجابة عنها.

وأسأل الله تعالى أن يعينني على تحقيق المرام، إنه ولي ذلك وهو الهادي إلى سواء السبيل.

2. أصل اللغة السواحلية:

اختلفت آراء المؤرخين واللغويين في أصل اللغة السواحلية إلى ثلاث مجموعات يوضحها الباحث في الفقرات الآتية:

المجموعة الأولى ترى أن السواحلية انبثقت عن العربية في أبسط أشكالها، فهي عربية الأصل[3]. وقد اعتمد هذا الرأي على كثرة المفردات العربية في السواحلية، وتسميتها باسم عربي: «سواحلية» – نسبة إلى كلمة عربية هي «ساحل»، جمعُها

---

[3] عثمان، عبد الرحمن أحمد: المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحلية، الخرطوم: دار جامعة إفريقيا للطباعة والنشر، 2001م، ص ص 54- 55.

«سواحل». وفي الحقيقة قد اختلف العلماء في عدد المفردات السواحلية ذات أصول عربية، فمنهم من يقول إنها لا تتجاوز ٪31[4] ، ومنهم من يرى أنها تتجاوز النسبة المذكورة إلا أنها أقل من ٪40، وغيرهم يقدّرها بـ ٪75[5]. وقد قام الباحث بدراسة إحصائية من خلال قاموس سواحلي اسمه «Kamusi ya Kiswahili Sanifu»، وتوصل إلى أن نسبة المفردات السواحلية المقترضة من العربية ٪26. ومهما كانت كثرة الكلمات العربية في السواحلية، فإن هذا الرأي بعيد عن الصواب لأن اللغة نظام يتمثل في أصواتها وبنية كلماتها وجملها. وأن أصل اللغة لا تدل عليه مفرداتها، وإنما يدل عليه نظامها الصوتي والصرفي والنحوي، وهذه الأنظمة في السواحلية تختلف تماما عما يقابلها في العربية، كما سيتضح ذلك في الفقرات اللاحقة.

أما بالنسبة لتسميتها باسم عربي فإنها من عمل العرب، وقد كُتب لهذه التسمية البقاء، ولكنها مع ذلك لا تدل على عربية الأصل لأن اللغة نظام، وليست اسما يقال.

وزعمت المجموعة الثانية أن السواحلية لغة المولَّدين من بين العرب وزوجاتهم الأفريقيات البَنتُويات، فقد تعلموا لهجات أمهاتهم، وكلمات عربية من آبائهم، وتكونت لديهم من هذه الكلمات وتلك اللهجات لغةٌ جديدة مستقلة عن اللغتين هي السواحلية. فهي لغة هَجينة لا يمكن نسبتها إلى العربية الخالصة، كما لا يتيسر تحديد هويتها ونسبتها إلى قبيلة بنتوية معينة.[6] وهذا الرأي ليس بصحيح لأن اللغة لا تتولد بالتزاوج بين اللغتين، وإنما تتأثر فقط لغة بلغة أخرى تأثراً إما كبيرا وإما قليلا، وذلك حسب قوة العوامل المؤثرة الموجودة.[7]

---

4 Taasisi ya Ukuzaji Mitaala: Kiswahili Sekondari Taasisi ya Ukuzaji Mitaala Dar es salaam 1988 p 5-8.

5 عثمان، عبد الرحمن أحمد: المرجع السابق، ص ص 54- 55.

6 عثمان، عبد الرحمن أحمد: المرجع السابق، ص 20، وص ص 54- 55. وانظر:

Taasisi ya Ukuzaji Mitaala: Op. Cit., p 5.

7 Ndungo, C. & Mwai, W.: Historical Modern Development in Kiswahili, Nairobi University Press, 1991, p 3.

أما المجموعة الثالثة فهي على رأي أنها لغة بنتوية خالصة، أنشأها مواطنو ساحل شرق إفريقيا قبل مجيء الأجانب[8]. وهذا الرأي هو الذي يميل إليه الباحث لسببين، أولا: لأن المنطقة الساحلية كانت مستوطنة قرونا قبل هجرة العرب إليها، بل وقبل القرن الأول الميلادي[9]. ثانيا: لأن هذا الرأي يستند إلى حجة لسانية قوية وهي التشابُه التام بين اللغة السواحلية واللغات البنتوية في بنية الكلمة وبنية الجملة، وكذلك في الأنظمة الصوتية[10]؛ مما يدل على انتمائها كلها إلى أسرة لغوية واحدة وهي أسرة اللغات الكونغوية الكردفانية[11]، في الوقت الذي تختلف هذه الأبنية والأنظمة عن أبنية اللغة العربية وأنظمتها اختلافا كبيرا.

انظر إلى المقابلات والمقارنات الآتية بين العربية والسواحلية وبين اللغات البنتوية الأخرى:

أولا: المقابلة الصرفية

النظام الصرفي في اللغة السواحلية واللغات البنتوية الأخرى نظام اِلْتصاقي، بينما في العربية هو نظام اشتقاقي كما يتضح ذلك في الجدول الآتي[12]:

---

8 وافي، علي عبد الواحد: علم اللغة، القاهر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، ص 215

9 أبو عجل، محمد إبراهيم، الأدب السواحلي الإسلامي، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 1، ص 37، 1422هـ (2002م).

10 Masebo, J. A & Nyangwine, N.: Nadharia ya lugha Kiswahili kidato cha 5 & 6, Afroplus Industries Ltd, Chapa ya pili, 2004, pp 11-23

11 أبو عجل، محمد إبراهيم محمد، المرجع السابق، ص 35.

12 Kihore, Y. M.: Kiswahili- Kozi za Maandalizi Chuo Kikuu Huria, Taasisi ya Uchunguzi wa Kiswahili, 1996, p 15

الجدول 1: توضيح للمقابلة بين العربية والسواحلية واللغة الهَشِية[13] البنتوية في تصريف وبناء الكلمات

اللغة العربية	اللغة السواحلية	اللغة الهشية (Kihacha)
رجل - رجال	Mtu – Watu	Omuntu – Aban-tu
يشرب	Anakunywa	Aranywa

نرى من الجدول أعلاه أننا استطعنا أن نكوّن كلمة «رجال» ببنائها جديدة بعد تكسير كلمة رجل، أما في اللغة السواحلية فقد تم بناء كلمة watu بإلصاق السابقة wa إلى جذر الكلمة -tu، أو بتعبير آخر: استبدلنا السابقة wa التي للجمع بالسابقة m التي هي للمفرد، ثم ألصقناها إلى الجذر –tu. وأما في اللغة الهشية فإننا ألصقنا السابقتين a-ba إلى الجذر -ntu. وإذا نظرنا إلى كلمة «نشرب» فإنها فقد اشتُقّت من «شُرْب» أو من «شَرِب»، حسب اختلاف العلماء في المسألة، وذلك بتحويل البناء وزيادة نون المضارعة. أما الكلمتان المقابلتان لها المنتميتان إلى السواحلية والهشية فإنهما قد تم تصرفهما بإلصاق السوابق: A-na-ku وA-ra إلى الجذر nyw في كلتا اللغتين السواحلية والهشية على التوالي. وهذا التحليل يوضح جليا مشابهة السواحلية للغة البنتوية (الهشية) في نظام تكوين الكلمات، ومخالفتها للعربية في ذلك، وهذا دليل على أنها بنتوية الأصل.

ثانيا: المقابلة النحوية:

بالنسبة لنظام بناء الجملة هناك اختلافات أساسية بين العربية والسواحلية التي تدل على اختلاف أصول اللغتين. ويمكن تمثيل ذلك في النقاط التالية:

وجود ظواهر الإعراب، والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث في العربية، وعدم وجودها في السواحلية[14].

---

13 لغة قبيلة بنتوية في تنزانيا.

14 محمد، سالم خميس: دراسة تقابلية بين العربية والسواحلية على مستوى التراكيب، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، (غير منشور)، 1428هـ (2007م)، ص ص 86-87.

نظام المطابقة بين الكلمات في العبارات والجمل السواحلية يشبه تماما نظام اللغات البنتوية، وهو في اللغة العربية مختلف كل الاختلاف. انظر المثال الآتي[15]:

الجدول 2: يوضح المقابلة بين العربية واللغة السواحلية واللغة الكوية(١٦) في نظام المطابقة

اللغة العربية	اللغة السواحلية	اللغة الكوية kikuyu
الإنسان القصير...	Mtu mfupi	Mundu muraihu
الناس القصار...	Watu wafupi	Andu araihu

يتجلى بكل وضوح أن نظام المطابقة المتبع في اللغة الكُوية والسواحلية هو مطابقة اللواصق الدالة على المفرد والجمع، أي m وwa في السواحلية، وmu وa في الكوية. أما في العربية فتكون هذه المطابقة في الصيغ بين «الإنسان» و«القصير»، وبين «الناس» و«القِصار». وهذا الإنحياز البيّن للغة السواحلية إلى اللغات البنتوية يدل على كونها بنتوية الأصل. وابتعادها عن العربية يؤكد عدم كونها عربية الأصل.

ثالثا: التحليل الصوتي:

تُبين الدراسة الصوتية للغات البنتوية أن هناك أصواتاً يكثر وجودها فيها ولا توجد أبدا في اللغة العربية. هذه الأصوات هي: /ny/ و/ng'/ و/ng/ ، وهي عبارة عن صوامت أنفية، تتوفر كذلك في كلمات اللغة السواحلية، مثل: nyama (اللحم)، و ng'ombe (البقر)، وnge (العقرب). وبالعكس، هناك أصوات متوفرة في العربية لا توجد في اللغات البنتوية ولا في السواحلية إلا في بعض الكلمات المقترضة من العربية. هذه الأصوات هي: /ث/ و/ح/ و/خ/ و/ذ/ و/ض/ و/ط/ و/ظ/ و/ع/ و/غ/ و/ق/. فلو كان أصل السواحلية من العربية لما كان بينهما هذا البون الشاسع في الأصوات.

إضافة إلى ذلك فإن مَقاطع اللغة السواحلية واللغات البنتوية عموما مفتوحة دائما، يعني تنتهي بالصوائت[17]، بينما مقاطع اللغة العربية قد تكون مفتوحة وقد تكون مغلقة.

---

15 Ndungo, C. & Mwai, W.: Op. Cit., pp 17-25

16 لغة قبيلة في كينيا.

17 أبو عجل، محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 40.

وهكذا تختلف اللغتان في النظام الصوتي، وفي تصريف الكلمات، وكذلك في نَظْم الجمل. فإن دلّ ذلك على شيء فإنه يدل على اختلافهما في الأصل، فالسواحلية بنتوية والعربية سامية.

3. موطن نشأة اللغة السواحلية وانتشارها:

نشأت اللغة السواحلية في ساحل شرق إفريقيا كما رأينا في الفقرة السابقة. فهذه المنطقة هي الموطن الأصلي لهذه اللغة، كما يشير إلى ذلك اسمها.

وقد انتشرت في مناطق أخرى في شرق ووسط إفريقيا بعوامل كثيرة منها التجارة، والدين والاستعمار وحركات الاستقلال. فالتجار الإفريقيون الذين توغلوا في وسط إفريقيا باحثين عن السلع والبضائع نشروا اللغة السواحلية في تلك المناطق حتى وصلت إلى كونغو(Congo)[18]. أما الدعاة المسلمون من العرب تعلموا اللغة السواحلية وبواسطتها نشروا الدين في شرق ووسط إفريقيا، وبذلك انتشرت اللغة[19]. وأما التبشيريون فقد بنوا مدارس عديدة وكانت السواحلية هي لغة التعليم[20]. وهكذا فعل المستعمرون. فقد لعبوا دورًا كبيرًا في نشر هذه اللغة، وذلك بجعلها لغة رسمية في حكوماتهم وكذلك لغة التعليم[21]. بدأ ذلك العرب ثم تبعهم الألمان والإنجليز أخيرًا. وأما الحركات الاستقلالية فقد نشرت السواحلية في أنحاء شرق إفريقيا باختيارها لغة الدعايات السياسية كلها[22].

وبعد الاستقلال توسعت هذه المجهودات في تنزانيا وكينيا حتى شرعت السواحلية تُدرّس في الجامعات[23].

---

[18] Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili Chuo Kikuu ch Dar es Salam: Makala za Semina ya Kimataifa ya Waandishi wa Kiswahili (1), chapa ya tatu, Dar es Salam: Kiwanda cha Uchapishaji cha Taifa, 2010, p 29.

[19] Ibid, p. 32

[20] Ibid, p.34

[21] Zanzibar National Archives (ZNA) AB1/390: Teaching of Koran and Arabic in Government Schools.

[22] Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili Chuo Kikuu ch Dar es Salam, Op. Cit. p. 56

[23] Massamba, D.P.B na wenzake: Sarufi miundo ya Kiswahili sanifu – Sekondari na vyuo, Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili, chapa ya pili 2001ط PP 11-28.

أما الآن فقد توغلت السواحلية إلى الصومال وموزمبيق وجنوب إفريقيا وزمبوابوي وأنجولا وزمبيا وروندى وبروندي وغانا ونيجريا وغيرها من البلاد الإفريقية. أما خارج إفريقيا فقد وصلت إلى كل القارات حيث أنشئت فيها إذاعات سواحلية عديدة. هذا فضلا عن كونها مستخدمة في الاتحاد الإفريقي والأمم المتحدة. هي الآن يتكلمها أكثر من سبعين مليون نسمة[24].

4. دخول اللغة العربية في شرق إفريقيا وانتشارها:

تُواجهنا من العنوان أعلاه ثلاثة أسئلة: الأول هو كيف دخلت هذه اللغة هذه المنطقة؟ والثاني هو متى تحقق ذلك؟ والسؤال الثالث هو كيف تم انتشارها. ففيما يتعلق بالسؤال الأول فإن اللغة العربية قد دخلت عن طريق العرب وغيرهم من المسلمين الذين هاجروا إلى هذه المنطقة. وبالنسبة للسؤال الثاني فإنه لا يوجد حتى الآن ما يدل على نقطة زمنية محددة لقدوم العرب إلى ساحل شرق إفريقيا. وقد اختلف المؤرخون في هذا الأمر، فمنهم من يرى قدومهم منذ انهيار سد مآرب في اليمن، ومنهم من يقول إن مجيئهم بدأ في القرون الأولى لميلاد المسيح متابعةً للبضائع التجارية، ويشير غيرهم إلى أن بداية هجراتهم كانت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام 75هـ (695م)، حينما فر أبناء عبّاد بن عبد الجلندى من سلطنة عمان إلى بلاد ساحل شرق إفريقيا خوفا من اضطهاد الحجاج وجيوشه. غير أن القول الذي يمكن الاعتماد عليه، والذي يرجّحه أكثر المؤرخين هو أن قدومهم كان قبل ظهور الإسلام[25].

وبعد ظهور الإسلام استمرت وفود العرب إلى هذا الساحل منتقلين معهم دينهم وحضارتهم وحاولوا الاستقرار الدائم وإقامة كيانات عربية إسلامية، فأقاموا مدنا كثيرة وإمارات عربية إسلامية عديدة، ودخلت في الإسلام جماعات من الوطنيين الأفارقة بطريقة سلمية. ولما نُقلت عاصمة سلطنة عمان إلى زنجبار سنة

---

24 Masebo, J. A., Op.Cit. pp 84-90.

25 المغيري، سعيد بن علي: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ط 2، 1406هـ (1986م)، ص ص 13- 31. وانظر:

Ingrams, W. H.: Zanzibar: Its History and Its Peopl, 1st ed., London: Frank Cass and Company Ltd, 1931, p 73.

1259هـ (1832م) بلغت الهجرات ذروتها حيث كان العرب يأتون أفواجا إلى بلاد شرق إفريقيا وخاصة جزر زنجبار[26]. ومنذ هذه الفترة استطاع العرب أن يتوغلوا البر التنزاني والإفريقي بعد أن كانوا من قبل ينتهون إلى المنطقة الساحلية من البر التنزاني وجزر زنجبار. توغلوا هذه المناطق حتى وصلوا إلى نهر كونغو (Congo) مستوطنين في بعض الأماكن، منشئين فيها بعض المراكز التجارية والأخرى الدينية لنشر الإسلام[27].

فما هي اللغة التي كانت العرب الأوائل يستعملونها في معاملاتهم اليومية في المنطقة؟ لقد وردت الأخبار أن العرب كانوا إذا وصلوا إلى هذه البلاد سرعان ما يتعلمون لغاتها ولاسيما اللهجة البنتوية بمدينة زنجبار، والتي سُمّيت فيما بعد باللغة السواحلية، لأنها كانت تفوق اللهجات الأخرى شُهرة واستعمالا، حيث كانت تستخدم في أكبر مركز تجاري آنذاك في شرق إفريقيا. ومن هنا نعلم أن العرب كانوا يعاملون الأفارقة بلغاتهم الإفريقية. أما التواصل فيما بينهم فقد كان بالعربية. وبهذا تكون هذه المنطقة الساحلية من شرق إفريقيا قد سمعت أصوات اللغة العربية المتمثلة في المكالمات اليومية بين العرب قبل ظهور الإسلام. أما بعد ذلك فقد كانت العربية تُسمع من خلال قراءة القرآن والأذان والخطب الدينية، وهكذا كان دخول العربية في هذه البلاد.

وفيما يتعلق بكيفية انتشارها في المنطقة الساحلية والمناطق الداخلية المجاورة فإنه قد حصل ذلك عن طريق الاكتساب والتعلم. فقد كان هؤلاء العرب أناسا اجتماعيين، كانوا يختلطون مع غيرهم في معاملات مختلفة مثل التجارة والزواج. ومن خلال هذه المعاملات اكتسب بعض الناس اللغة العربية عن طريق المحاكاة. أما انتشارها عن طريق التعليم فقد بدأ بعد ظهور الإسلام.[28] وكان من عادة المسلمين إذا وصلوا مكانا في أوساط المجتمع الإفريقي ينشئون مراكز دينية، يتعلم فيها الأولاد اللغة العربية والقرآن الكريم والكتابة وغيرها مما يتعلق

---

26 عثمان، عبد الرحمن أحمد: المرجع السابق، ص ص 29- 30.

27 المغيري، سعيد بن علي: المرجع السابق، ص ص 247- 250.

28 علي، عبدالله حبيب: تقويم منهج اللغة العربية للمرحلة المتوسطة بالمعهد الإسلامي بزنجبار، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، غير منشور، 1994م، ص 20.

بالثقافة الإسلامية[29]. فنشط إقبال المواطنين الأصليين على العربية بعد ذلك حيث اعتبروها لغة دينهم ولغة كتاب ربهم، القرآن الكريم[30].

ولم تكن العربية التي كان الأولاد يتعلمونها إلا الأصوات المتمثلة في حروف الهجاء، وكذلك مبادئ القراءة إعدادا لهم وتمهيدا لقراءة القرآن الكريم.[31] ثم إذا ختموا القرآن يتخرجون ويغادرون المدرسة إلا من أراد منهم البقاء لمساعدة المعلم على تعليم الصغار- في جانب، وتعلُّم الفقه ومبادئ اللغة العربية من النحو والصرف وغير ذلك من العلوم الدينية في جانب آخر، وذلك إذا كان المعلم عالما بهذه الفنون. أما إن لم يكن عالما فيغادرونه متوجهين إلى أحد العلماء (الشيوخ).[32] وجدير بالذكر هنا هو أن هذه المدارس كانت أهلية قائمة على مجهودات المتطوعين لا على نفقة الحكومة.[33] وقد استمر هذا النظام وحده إلى أوائل القرن العشرين حينما أُنشِئ نظام رسمي حديث من قِبل الإدارة الإنجليزية عام 1907م.[34]

منذُ هذه السنة أنشأت إدارة الاستعمار الإنجليزي مدارس ابتدائية، وكانت اللغة العربية ضمن المواد المدروسة فيها على مستوى حروف الهجاء وقراءة بعض الكلمات والجمل تمهيداً لقراءة القرآن الكريم. وقد احتجّ الآباء على ذلك وطالبوا الإدارة أن تعمل على تدريسها إلى أوسع المدى، غير أنها رفضت على أساس أن اللغة العربية

---

29 عثمان، عبد الرحمن أحمد: المرجع السابق، ص 104.

30 قاسم، جمال زكريا: "الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافي وبدء حركة الاستعمار الأربي في القرن الخامس عشر"، العلاقات العربية الإفريقية (دراسة تاريخية للآثار السلبية للآثار السلبية للاستعمار)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، 1977م، ص ص 8- 23.

31 زيدي، عيسى الحاج: أثر منهج التربية الإسلامية على طلاب المرحلة الثانوية في زنجبار في الفترة 1964- 1999، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في التربية، تخصص المناهج وطرق التدريس، غير منشور، 2001م، ص 11.

32 Loimeier, R: Between Social Skills and Marketable skills – The Politics of Islamic Education in 20th Century Zanzibar نخ Vol. 10, Netherlands: Koninklijke Brill NV, 2009, p 163.

33 زيدي، عيسى الحاج: المرجع السابق، ص 11

34 Zanzibar Administrative History 1890 – 1980s نخ unpublished document at the Zanzibar National Archives (ZNA), p 5. ZNA BA5/19: Annual Report on the Education Department for the year 1949, p 1.

ليس لها دور في حياة المواطنين اليومية. فكل الناس العربي منهم والعجمي كانوا – ولا يزالون – يستعملون اللغة السواحلية في معاملاتهم العامة. فالسواحلية، وليست العربية، هي التي تستحق أكثر العناية والاهتمام.[35] أما في المدارس التي كان جميع تلاميذها أو معظمهم عربا فقد تم تدريسهم إياها إلى مدى أوسع.[36]

وبالنسبة للمدارس الثانوية فإن إنشاءها قد تأخر إلى ما بعد عام 1923م.[37] ويبدو أن اللغة العربية في بداية الأمر لم يكن لها حظ في مناهجها، بل حتى بعد أربعة عشر عاما من تاريخ إنشائها. والدليل على ذلك رسالة شُكرٍ يكتبها مدير التعليم في سنة 1937م تعظيما لأحد الأساتذة في المدرسة الحكوميةً، وهو الأستاذ عبدالله صالح الفارسي، على قيامه بتدريس اللغة العربية مجانا أملا لمساعدة التلاميذ على محافظتهم على ما عندهم من اللغة العربية ورفع مستواهم فيها، وذلك لعدم وجود هذه اللغة في منهج التعليم الثانوي.[38] وفي السنوات اللاحقة تم تعليمها فيها، ومن هنا يمكن القول بأن اللغة العربية كانت تُدرّس في المرحلتين الابتدائية والثانوية. وقد ثبت تدريسها كذلك في معهد إعداد المعلمين، وكان قد تولى وظيفة التدريس أساتذة من البلاد العربية ولا سيما مصر والسودان[39].

ظل تعليم اللغة العربية في زنجبار على هذه الوتيرة إلى ما بعد الاستقلال في عام 1964م، حيث تم عندئذ إلغاء مادتي التربية الإسلامية واللغة العربية من المناهج الدراسية، كما تم قطع جميع العلاقات مع الدول العربية، وإحراق الكتب العربية والإسلامية، وإغلاق المعهد الإسلامي والمكتبات التي كانت تبيع الكتب الدينية، وكذلك مطابع الكتب والجرائد والمجلات التي كانت تصدر بالعربية، والتي وصل عددها أكثر من إحدى عشرة مجلة مثل الفلق، وصوت الديك،

35 ZNA AB1/390: Teaching of Koran and Arabic in Government Schools. Issa A. A.: "The Transmission of Islamic Knowledge in Ng'ambo and Rural Areas of Zanzibar: 19th -20th Century" Paper presented at the Conference on "The Global Worlds of the Swahili", Zanzibar، Feb 20-23, 2003 (not published), pp 5-10.

36 ZNA AB1/82: Arab Kindergarten School, Zanzibar.

37 ZNA BA6/22: Report of the Committee on Education 1959, p 3.

38 ZNA AB86/136: Sk. Abdulla Saleh Abdulla el- Farsy Personal File (Supervisor of Religious Instructionخ Education Department).

39 ZNA AD1/170 Recruitment of teachers from Sudan.

وعدالة الإنصاف، والأمة، والنور، والهدى، والنهضة.[40] وقد حدث كل ذلك تحت حكومة زنجبار الثورية التي تأسست بعد الانقلاب الدموي الذي قام به الحزب الإفريقي الشيرازي الذي كان ضد العرب.

وبعد مقتل زعيم الثورة والرئيس الأول لزنجبار الجديدة عبيد عمان كرومي (Abeid Amani Karume) سنة 1972م، شرع الرئيس الثاني عبود جمبي (Abo-ud Jumbe) رويداً في إحياء كلَّ ما أُميت مما يتعلق بالدين واللغة العربية، وقد تم فتح المعهد الإسلامي من جديد في العام نفسه، وإعادة التعليم الديني واللغة العربية في مناهج المدارس الحكومية عام 1973م.[41] إلا أن هذا الاستئناف لم يتناول جميع المراحل التعليمية دفعة واحدة، وإنما بدأ في المرحلة الابتدائية والمتوسطة. أما تدريس العربية في الثانوية العامة فقد تأخر إلى التسعينات، وما بدأ تدريسها في الثانوية الخاصة إلا مؤخرا. وفي سنة 2000م استطاعت حكومة زنجبار أن تنشئ جامعة لها، وهي جامعة دولة زنجبار التي جعلت اللغة العربية من مكونات مناهجها. هذا بالنسبة للتعليم الحكومي والنشر الرسمي لهذه اللغة.

أما التعليم الأهلي والنشر غير الرسمي فقد ذكر الباحث أنه يتمثل في المدارس القرآنية التقليدية ودروس العلماء أو الشيوخ.[42] وهذا النظام لا يزال متبعا حتى الآن. وهناك بجانب ذلك تيّار حديث يهتم بافتتاح معاهد دينية تُعنى بتعليم اللغة العربية ومواد أخرى مختلفة. وفي عام 1996م تمكنت مؤسسة لجنة مسلمي إفريقيا أن تفتتح كلية التربية بزنجبار وهي تهتم بتعليم اللغة العربية وتدريب المعلمين على تدريسها، وهناك جامعات أخرى تم افتتاحها في السنوات اللاحقة مثل جامعة زنجبار عام 1998م، وجامعة المسلمين بمرغجرو عام 2005م، كلها تتناول اللغة العربية للتدريس.

فهكذا كان نشر اللغة العربية في هذا البلد قديما وحديثا، وتلك هي المجهودات المبذولة في هذه السبيل. فما مدى انتشارها في أوساط المجتمع؟

مع كل هذه المجهودات لم تصل اللغة العربية إلى درجة الاستعمال العام، ولكنها

---

40 زيدي، عيسى الحاج: المرجع السابق، ص 27 وص 61. وانظر:
ZNA Zanzibar Administrative History 1890- 1980s, Op. Cit.

41 Loimeier R.: Op. Cit. pp 489- 497.

42 انظر ص 10 من هذا البحث.

بقيت مع الجيل الأول من العرب المهاجرين، وبين صفوف العلماء، واستعملت في بعض المكاتبات الرسمية، وفي الخطب الجمعية، وفي بعض الجرائد اليومية، وغير ذلك من المواقف الخاصة. أما الاتصالات في المواقف العامة فقد كانت السواحلية هي المستعملة فيها. وجدير بالذكر هو أن أبناء العرب أنفسهم في الأجيال اللاحقة لم يكونوا يجيدون العربية كما ينبغي أن يكون. يقول مدير التربية للإدارة الإنجليزية في تقريره السنوي لعام 1925م إن العرب في هذا البلد يتكلمون السواحلية بطلاقة أكثر من العربية، بل أصبحت العربية بنسبة لمعظمهم لغة أجنبية.[43] ولم يكن عجيبا أن يُلحق بعض أبناء العرب بالمدرسة وهم لا يعرفون حتى معنى كلمة «أمّ». [44] وقد قابل الباحث أحد علماء التاريخ، البروفيسور عَبْدُلْ شريف[45]، وهو رجل مسنّ، فأخبره بهذه الحقيقة نفسها، وقال إن هذه الحالة لم تكن عند العامة من العرب فحسب، وإنما تجاوزت إلى خاصتهم من الأسرة السلطانية.

ذلك قبل طرد العرب من البلد وإحراق الكتب العربية تبعا للانقلاب الدموي عام 1964م. أما بعد هذه الحادثة الأليمة اضمحلت اللغة العربية وانكمشت أكثر وأكثر، ولم يبق لها وجود إلا عند رجال من العلماء، وعلى جدران المباني كنقوش للمساكن والقصور والمساجد والمستشفيات. كما توجد بعض الدعايات إما باللغة المحلية مكتوبة بالحرف العربي، وإما باللغة العربية جملة واحدة.[46] والكتابة الموجودة على جدران جامع كِزِمْكَازِي في جنوب جزيرة زنجبار، والتي يرجع تاريخها إلى عام 500هـ، الموافق لـ 1106م، خير دليل على ذلك.[47] ومن ملامح انتشار العربية آنذاك هو استعمالها جنبا إلى جنب مع الإنجليزية في المحاكم، وفي الأوراق الرسمية والعقود والوصايا، واستخدامها كذلك في مكاتب القضاء، وفي الاتصال مع العالم الخارجي.[48]

---

43 ZNA BA5/3: Annual Report on the Education Department for the year 1925, P 9.

44 Loimeier R.: Op. Cit. نخ pp 319- 320.

45 أستاذ التاريخ في جامعة دار السلام سابقاً، والمدير التنفيذي لمعهد البحر الهندي للبحوث بزنجبار، حالياً.

46 قدرماري، بابكر حسن: كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي (الفلاني – الهوسا – السواحلي)، ط1، الخرطوم: جامعة إفريقيا العالمية، 2006م، ص 24.

47 نيكوليني، بياتريسه: جزيرة زنجبار: التاريخ والاستراتيجيا في المحيط الهندي (1799–1856)، ترجمة نزار آغري، ط1، بيروت: دار النهار للنشر، 1998م، ص ص 32–33.

48 علي، عبدالله حبيب: المرجع السابق، ص 19.

5. أثر اللغة العربية على السواحلية:

لقد رأينا في الفقرات السابقة أن العلاقة بين العربية والسواحلية ليست علاقة أصلٍ بفرعه، وإنما هي علاقة أخذٍ وعطاء، أو علاقة تأثير وتأثر. فقد تأثرت اللغة السواحلية بالعربية تأثرا كبيرا وذلك في أصواتها ومفرداتها وطريقة كتابتها حتى ظن بعض اللغويين أنها من أصل عربي عريق. وفيما يلي مناقشة لهذه الجوانب الثلاثة من التأثر.

أولا: تأثير اللغة العربية على السواحلية في جانب الأصوات

لقد أثرت اللغة العربية على اللغة السواحلية بإضافتها إليها أصواتا لا وجود لها فيها وفي اللغات البنتوية جمعاء، مثل: /ث/ و/خ/ و/ذ/ و/ظ/ و/غ/[49].

فهذه الأصوات لا توجد إلا في كلمات سواحلية مقترضة من العربية. فـ/ث/ (th) في مثل: thawabu (ثواب)، و/خ/ (kh) في مثل: kheri (خير)، و/ذ/ (dh) في مثل: dhahabu (ذهب)، و/ظ/ (dh) في مثل: dhulma (ظلمة)، و/غ/ (gh) في مثل: ghali (غالٍ). بل حتى صوت /ر/ (r) الذي يظنه العامة أنه صوت سواحلي (بنتوي) أصيل، لكن بعض العلماء يؤكد أنه صوت مستعار من العربية، ولهذا تجد أن أكثر الكلمات التي من مكوّناتها «راء» أجنبية الأصل، وذلك مثل: risasi (رصاص)، وredio (راديو)، وkaratasi (قرطاس). وإذا وُجدت كلمة بنتوية الأصل فيها هذا الصوت فأنه مستبدل باللام، مثل: koroga أصلها kolo-ga (حرّك).[50] والذي جعل اللغويين يلتفتون إلى متابعة هذا الصوت بالدراسة هو صعوبة نطقها على الذين ترعرعوا على لغات بنتوية غير السواحلية، ولم يتعلموا القرآن الكريم في طفولتهم.

ثانيا: تأثير اللغة العربية على السواحلية في جانب الألفاظ:

يتجلى هذا التأثير في ظاهرة اقتراض الألفاظ. فقد اقترضت السواحلية كثيرا من

---

49 قدر ماري، بابكر حسن: المرجع السابق، ص 87.

50 عثمان، عبد الرحمن أحمد: المرجع السابق، ص 56.

الألفاظ العربية المستعملة في جميع مجالات الحياة. وهذه الألفاظ المقترضة منها ما استُخدمت في السواحلية بمعانيها العربية، ومنها ما استعملت بمعنى آخر تماما، ومنها ما استُخدمت بمعنى أوسع، ومنها ما استُعملت بمعنى أضيق. وفيما يلي سننظر إلى هذه المسائل كلها بشيء من التفصيل.

أ. مجالات استخدام الألفاظ المقترضة:

ذكرنا في الفقرة السابقة أن الكلمات المقترضة من العربية إلى السواحلية تستخدم في جميع مجالات الحياة مثل: المجال الديني، والمجال التجاري، والمجال السياسي، والمجال الاجتماعي، والمجال العلمي أو التعليمي. وخوفا من التطويل نورد هنا بعض الأمثلة في كل مجال:

- **أمثلة الكلمات المقترضة من العربية في المجال الديني:**

  كلمة sala (صلاة)، وmsikiti (مسجد)، وzaka (زكاة)، saumu (صوم).

- **أمثلة الكلمات المقترضة من العربية في المجال التجاري:**

  كلمة biashara (بيع-شراء)، وraslimali (رأس المال)، وghali (غالٍ).

- أمثلة الكلمات المقترضة من العربية في المجال السياسي:

  كلمة raisi (رئيس)، وraia (رعية)، وwizara (وزارة)، wilaya (ولاية).

- أمثلة الكلمات المقترضة من العربية في المجال الاجتماعي:

  كلمة arusi (عروس)، وtarabu (طرب)، وrafiki (رفيق)، suruali (سروال).

- أمثلة الكلمات المقترضة من العربية في المجال العلمي أو التعليمي:

  كلمة kitabu (كتاب)، وkalamu (قلم)، وdaftari (دفتر)، وmada (مادة).

ولم يتوقف الاقتراض في كلمات المحتوى كما رأينا في الأمثلة السابقة، ولكنه تجاوز إلى الكلمات الوظيفية مثل الروابط وأدوات الوصل التي تدخل في التركيب الأساسي للغة كما هو الحال في الروابط التالية: illa (إلا)، وkama (كما)،

و hata (حتى)، وbila (بـلا)، وlakini (لكن).[51] وقد يحتجّ البعض بعروبة السواحلية لاقتراضها مثل هذه الكلمات التي تعمل وظائف نحوية في بناء الجملة، إلا أن هذا النوع من الاقتراض قليل جدا بالنسبة لكثير من مقومات بِنيَة الجملة.

ب. المعاني التي استُخدم بها الألفاظ المقترضة من العربية:

سبق الذكر أن الألفاظ المقترضة إلى السواحلية لم تُستعمل على مستوى واحد من المعاني، بل هناك ما استخدمت بمعنى عربي على السواء، وهناك ما استعملت بمعنى مختلف، وأخرى قد استعملت بمعنى أوسع من المعنى الأصلي، واستخدمت غيرها بمعنى أضيق. ويجدر بنا أن نفصل القول في النقاط المذكورة بالأمثلة.

- **الألفاظ المستخدمة بالمعنى العربي على السواء:**

يوجد عدد كبير من الكلمات المقترضة التي تستخدم بمعناها الأصلي دون تغيير لا بزيادة ولا بنقصان. وهذا هو الذي يسميه اللسانيون بانتقال المعنى، وذلك عندما يكون المعنيان متعادلان بحيث لا يختلفان من جهة العموم والخصوص[52]. من أمثلتها:

- كلمة asaa : وهي مقترضة من كلمة «عسى»، والكلمتان كلاهما تفيدان الرجاء[53]، مثل قولك: عسى أن يكون خيراً، أي: Asaa heri (hu-enda ikawa heri)
- كلمة asali : وهي مقترضة من كلمة «عسل»، وكلا الكلمتين تستعملان بمعنى واحد وهو ذلك الشراب اللذيذ الصافي الذي تخرجه النحل من بطونها، أو ما يُتخذ من الرُطب أو من قصب السكر[54].

---

51 قدرماري، بابكر حسن: المرجع السابق، ص ص 87 - 88.

52 عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، ط 1، 1993م، ص 247.

53 مصطفى، إبراهيم: المعجم الوسيط، جـ 2، ط 2، القاهرة: دار الدعوة، س 602. وانظر:
Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: Kamusi ya Kiswahili Sanifu, Toleo la Pili, 2004, P 14.

54 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 601 وانظر:
Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili:Op. Cit., p 14

• كلمة binti : مقترضة من كلمة «بنت» بمعنى الأنثى من الأولاد[55] في كلتي اللغتين.

• كلمة ghaibu : مقترضة من كلمة «غيب»، أي: خلاف الشهادة، أو ما غاب عن الإنسان، وهو المعنى المستعمل في اللغتين على السواء.

• كلمة dhahabu : مقترضة من كلمة «ذهب» بمعنى التبر، ذلك المعدن الأصفر اللون المعروف، وهذا المعنى مستخدم في اللغتين دون زيادة ولا نقصان.

الألفاظ المستخدمة بمعان أوسع من معانيها العربية:

الألفاظ المنتمية لهذا النوع كثيرة جدا في اللغة السواحلية، وفيما يلي نورد بعض الأمثلة:

• كلمة fasihi : مقترضة من كلمة «فصيح»، وهي تستعمل في العربية بمعنى: المحسن للبيان والمميز لجيد الكلام من رديئه. أما السواحلية فتستعملها بالمعنى ذاته، ثم توسِّع دلالتها بزيادة معنى جديد وهو الأدب (literature).

• كلمة kama : مقترضة من كلمة «كما»، وهي عبارة عن كلمتين: الكاف المفيدة للتشبيه، و«ما» المصدرية. ففي العربية تستخدم هذه الكلمة بكليّتها في سياق التشبيه، مثل قوله: «كما تدين تدان»، أي: ستُجزى مثلما تجزي أنت الآخرين. وفي المقابل تُستعمل في السواحلية بمعان كثيرةٍ زيادةً على المعنى الأصلي. أما المعنى الأصلي المستعار من العربية فمثل قولك: Mfanyie wema baba yako kama alivyokufanyia.

يعني: أحسن إلى أبيك كما أحسن إليك.

وأما المعاني الإضافية فمنها[56]:

• التوكيد، وذلك إذا استُعملت مع كلمة «nini» في مثل قولك: Khadija ni mzuri kama nini!

---

55 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 72 وانظر:

Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: Op. Cit., p 28

56 Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: Op. Cit., p 141.

أي: خديجة جميلة جدا!

الشرط المشكوك حصوله، في مثل قولك: Kama atakuja atanikuta

بمعنى: إن جاء سيجدني.

• التقريب في تحديد الأمر، وذلك في مثل قولك: Nimeona watu kama mia hivi.

أي: رأيت مائة شخص تقريبا.

الألفاظ المستخدمة بمعان أضيق من معانيها العربية مثل:

• كلمة alasiri : مقترضة من كلمة «العصر»، وهي تأتي في العربية بمعان عديدة منها: الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشمس، وصلاة العصر، والدهر. وتأتي كذلك بمعنى الزمن المنسوب إلى ملك أو دولة[57]. أما في السواحلية فلم تأت إلا بمعنيين الأولين[58].

• كلمة akili : مقترضة من كلمة «العقل»، التي ترد بمعان جمّة منها: هو ما يكون به التفكير، وما يتميز به الحسن والقبيح. وتأتي بمعنى القلب، والدية، والحصن، والملجأ[59]. أما في السواحلية فلم تَرد إلا بمعنيين الأولين[60].

• كلمة ami : مقترضة من كلمة «عمٌّ»، وهي تعني: أخو الأب، والجماعة الكثيرة من الناس، والنخل الطِوال[61]. أما في السواحلية فقد استخدمت بالمعنى الأول[62] فحسب.

• كلمة dini :مقترضة من كلمة «الدين» الواردة لتدلّ على معان شتى، منها: ما يتديّن به الإنسان، والملة، والسيرة، والعادة، والحساب، والحكم[63]. وفي السواحلية تنحصر على المعنى الأول فقط.

---

57 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 604.

58 Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: Op. Cit., p 7

59 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 617.

60 Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: Op. Cit., p 6

61 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 629

62 Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: Op. Cit., p 10

63 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 307

• كلمة madrasa : مقترضة من كلمة «المدرسة» التي تعني: مكان الدرس والتعليم عموما، كما تعني جماعة من المفكرين المعتنقين لمذهب معيّن[64]. وتأتي في السواحلية لتضيّق معناها وتُخصّصها على مكان تعليم الإسلام للأطفال[65].

• الألفاظ المقترضة المستخدمة بمعان بين توسيع معانيها الأصلية في جانب، وتضييقها في جانب آخر:

• كلمة mkataba : مقترضة من كلمة «مكاتبة»، وهي مصدر «كاتبَ» بمعنى المراسلة بين الصديقين، أو هي اتفاق مكتوب بين السيد وعبده على قسط من المال إذا دفعه صار حراً[66]. أما الكلمة السواحلية فتستعمل بمعنى الاتفاق عموما[67] بعد أن كان في العربية خاصا بين العبد وسيده. فهذا التوسيع في المعنى يقابله التضييق بإلغاء معنى المراسلة.

• كلمة darasa : مقترضة من كلمة «الدرس»، وهي في العربية تدل على عدة معان منها: الطريق الخفي، والخلِق البالي من الثياب وغيرها، وذنب البعير، والمقدار من العلم يُدْرس في وقت ما[68]. أما في السواحلية فقد أُلغيت جميع هذه المعاني ما عدا المعنى الأخير، ثم زِيد للكلمة معنيان جديدان وهما الغرفة أو القاعة التي يُدَرّس فيها، وكذلك جماعة من التلاميذ الذين يدرسون مع بعض[69]. وعلى ذلك تكون السواحلية قد ضيّقت الدلالة الأصلية للكلمة في جانب ووسّعتها في جانب آخر.

الألفاظ المقترضة المستخدمة بمعان مختلفة عن معانيها العربية:

• كلمة bei : مقترضة من كلمة «البيع» التي تعني مبادلة المال المتقوَّم بالمال المتقوَّم[70]. أما في السواحلية فهي تعني السعر[71].

---

64 مصطفى، إبراهيم: المرجع نفسه، ص 280.

65 Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: p 214.

66 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 774.

67 Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: Op. Cit., p 251.

68 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 280.

69 Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: Op. Cit., p 58.

70 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 79.

71 Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: Op. Cit., p 25.

• كلمة sakafu : مقترضة من كلمة «السقف» المستعملة بمعنى الجانب العلوي المقابل لأرض المنزل. أما في السواحلية فإنها تعني المعنى المضاد تماما، وهو أرض المنزل المقابل للسقف إذا كان مطرّزا بالسمنط.

• كلمة dari : مقترضة من كلمة «دار» التي تدل على عدد من المعاني مثل: المنزل، والبلد، والقبيلة[72]. أما في السواحلية فلا تُستعمل بأحد من المعاني المذكورة، وإنما تأتي بمعنى السقف[73].

• كلمة jahazi : مقترضة من كلمة «جَهاز»، وهي تَرد في سياقات كثيرة بمعان مختلفة، مثل: «جهاز الراحلة»، أي: ما عليها، وجهاز كل شيء هو ما يحتاج إليه، فيُقال في هذا المعنى مثلا: جَهاز العروس، وجهاز المسافر؛ أي: ما يحتاج إليه العروس والمسافر[74]. أما في السواحلية فتأتي بمعنى واحد هو السفينة الخشبية[75].

ثالثا: تأثير اللغة العربية على السواحلية في جانب الكتابة:

اللغة السواحلية كُتبت - أول ما كتبت - بالحرف العربي، وإن كنا لا نعرف على وجه التحديد التاريخ الذي بدأ فيه ذلك، إذ أن كافة ما كُشف عنه من المخطوطات السواحلية حتى الآن لا يرجع تاريخه إلى أكثر من مائتي عام»[76]. بيد أن هناك مخطوطات مكتوبة بخط عربي عثر عليها البرتغاليون في كِلْوا (Kilwa) عام 1505م، وهذا يعني أن أكبر الاحتمالات هو أنها كُتبت في القرن الخامس عشر الميلادي.[77]

---

72 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 302.

73 Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: Op. Cit., p 59.

74 مصطفى، إبراهيم: المرجع السابق، ص 143

75 Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili: p 126

76 قاسم، جمال زكريا: المرجع السابق، ص ص 8- 23.

77 عثمان، عبد الرحمن أحمد: المرجع نفسه، ص 57.

6. الخاتمة:

فباختصار شديد يمكن القول إن اللغة السواحلية قد تأثرت بالعربية، فقد أخذت منها بعض أصواتها، واقترضت منها أكثر من ربع من مفرداتها، واستعملت حينا من الدهر الحروفَ العربية في كتابتها، كما انتسب اسمُها إلى كلمة عربية خالصة. ومع كل هذا التأثر لا يصح الاستنتاج أنهما من أصل واحد لأن المفردات الأساسية، والتحليلات اللغوية تُثبت بطلانه.

المصادر والمراجع:

أولا: العربية:

أبو عجل، محمد إبراهيم، الأدب السواحلي الإسلامي، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 1، ص 37، 1422هـ (2002م).

زيدي، عيسى الحاج: أثر منهج التربية الإسلامية على طلاب المرحلة الثانوية في زنجبار في الفترة 1964- 1999، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في التربية، تخصص المناهج وطرق التدريس، غير منشور، 2001م.

عثمان، عبد الرحمن أحمد: المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحلية، الخرطوم: دار جامعة إفريقيا للطباعة والنشر، 2001م.

علي، عبدالله حبيب: تقويم منهج اللغة العربية للمرحلة المتوسطة بالمعهد الإسلامي بزنجبار، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، غير منشور، 1994م.

عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، ط 1، 1993م.

قاسم، جمال زكريا: «الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافي وبدء حركة الاستعمار الأربي في القرن الخامس عشر»، العلاقات العربية الإفريقية (دراسة تاريخية للآثار السلبية للإستعمار)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، 1977م.

قدرماري، بابكر حسن: كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي (الفلاني – الهوسا – السواحلي)، ط1، الخرطوم: جامعة إفريقيا العالمية، 2006م.

محمد، سالم خميس: دراسة تقابلية بين العربية والسواحلية على مستوى التراكيب، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، (غير منشور)، 1428هـ (2007م).

مصطفى، إبراهيم: المعجم الوسيط، جـ 2، ط 2، القاهرة: دار الدعوة.

المغيري، سعيد بن علي: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ط 2، 1406هـ (1986م).

نيكوليني، بياتريسه: جزيرة زنجبار: التاريخ والاستراتيجيا في المحيط الهندي (1799- 1856)، ترجمة نزار آغري، ط1، بيروت: دار النهار للنشر، 1998م.

وافي علي عبد الواحد: علم اللغة، القاهر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.

ثانيا: الأجنبية:

Ingrams, W. H.: *Zanzibar: Its History and Its People*, 1st ed., London: Frank Cass and Company Ltd, 1931.

Issa A. A.: "The Transmission of Islamic Knowledge in Ng'ambo and Rural Areas of Zanzibar: 19th -20th Century" *Paper presented at the Conference on "The Global Worlds of the Swahili"*, Zanzibar. Feb 20-23, 2003 (not published).

Kihore, Y. M.: Kiswahili- Kozi za Maandalizi Chuo Kikuu Huria, Taasisi ya Uchunguzi wa Kiswahili, 1996,

Loimeier, R: *Between Social Skills and Marketable skills – The Politics of Islamic Education in 20th Century Zanzibar*. Vol. 10, Netherlands: Koninklijke Brill NV, 2009.

Masebo, J. A & Nyangwine, N.: Nadharia ya lugha Kiswahili kidato cha 5 & 6, Afroplus Industries Ltd, Chapa ya pili, 2004

Massamba, D.P.B na wenzake: Sarufi miundo ya Kiswahili sanifu

– Sekondari na vyuo, Taasisi ya uchunguzi wa Kiswahili, chapa ya pili 2001.

Ndungo, C. & Mwai, W.: *Historical Modern Development in Kiswahili*, Nairobi University Press,1991.

Taasisi ya Uchunguzi wa Kiswahili Chuo Kikuu ch Dar es Salam: Makala za Semina ya Kimataifa ya Waandishi wa Kiswahili (1), chapa ya tatu, Dar es Salam: Kiwanda cha Uchapishaji cha Taifa, 2010.

Taasisi ya Uchunguzi wa Kiswahili: Kamusi ya Kiswahili Sanifu, Toleo la Pili, 2004.

Taasisi ya Ukuzaji Mitaala: Kiswahili Sekondari. Taasisi ya Ukuzaji Mitaala. Dar es salaam. 1988.

Zanzibar Administrative History 1890 – 1980s. unpublished document at the Zanzibar National Archives (ZNA).

Zanzibar National Archives (ZNA) AB1/390: Teaching of Koran and Arabic in Government Schools.

ZNA AB1/390: Teaching of Koran and Arabic in Government Schools.

ZNA AB1/82: Arab Kindergarten School, Zanzibar.

ZNA AB86/136: Sk. Abdulla Saleh Abdulla el- Farsy Personal File (Supervisor of Religious Instruction. Education Department).

ZNA AD1/170 Recruitment of teachers from Sudan.

ZNA BA5/19: Annual Report on the Education Department for the year 1949.

ZNA BA5/3: Annual Report on the Education Department for the year 1925.

ZNA BA6/22: Report of the Committee on Education 1959.